هوم دليفري

حكايات شباب الفيسبا

مصطفى فتحي

الكتاب : هوم دليفري / حكايات شباب الفيسبا

المؤلف : مصطفى فتحي

الطبعة الثانية : القاهرة ٢٠١٨

رقم الإيداع : ٣٣٨٤ / ٢٠١٧

الترقيم الدولي : I.S.B.N : 978 - 977 - 493 - 264 - 9

الناشر

شمس للنشر و الإعلام

٢٧ ش الثلاثين. برج الشانزليزيه. زهراء المعادي. القاهرة

ت فاكس : ٠١٢٨٨٨٩٠٠٦٥ (٠٢)

www.shams-group.net

الغلاف : الفنان أحمد فتحي

قصيدة هوم دليفري من تأليف : الشاعر سامح خيري

شمس
للنشر والإعلام

هوم دليفري

Home Delivery

حكايات شباب الفيسبا

الطبعة الثانية

مصطفى فتحي

إلى...

أبي...

أمي...

زوجتي...

أبنائي عيسى ويحيي...

آمال ، عفـاف ، نـوال ، نجـلاء ، عـلي ، عـربي ،

رجب ، رمضان ، عبده.

وأحمد فتح الله.

تقديم

جافة هي الكتابة الصحفية ، جامدة ، وأحيانًا صادمة ومزعجة... ربما تمنحنا المعرفة ؛ المعلومة ؛ الفكرة ؛ الحدث ؛ تفتح لنا نوافذ رحبة على هذا العالم المتسع...

لكنها أبدًا لا تمنحنا المُتعة !...

فمن منا يبحث عن المتعة بين سطور الأخبار أو المقالات أو الحوارات والتحقيقات الصحفية ؟!

لكن الكاتب الصحفي (الأديب) مصطفى فتحي، يأبى في كتابه "هوم دليفري" إلا أن يمحو هذه الصورة الذهنية النمطية ، ويجرنا لاهثين خلف سطوره نغترف متعة التحقيق/ الحوار الصحفي... يبتكر لنا من الخيال شخصية هذه البطلة الجميلة الرقيقة المبدعة "المجنونة" (مريم عزيز نوح) بنت الجامعة الأمريكية التي تبحث عن فكرة تشبه جنونها لإنجاز مشروع تخرجها من كلية الإعلام ، لتجد ضالتها في نماذج إنسانية نراها ونتعامل معها يوميًا في شوارعنا ومنازلنا ، لكن سنكتشف هنا أننا لا نعلم عنها إلا القليل... إنه عالم "الدليفري" أو "الطيارين" أو "توصيل الطلبات".

ننسى مع صفحات هذا الكتاب الصحفي - مجازًا - أن هناك كاتبًا صحفيًا اسمه "مصطفى فتحي" يوثق حوارته الصحفية المميزة مع "الدليفرية"، ونعيش فقط مع مغامرات "مريم عزيز نوح" لاستكشاف هذا العالم المبهم وتسليط الضوء على جوانب إنسانية خفية كنا نغفلها، أو ربما نتغافلها.....

علينا أن نعترف أن "مصطفى فتحي" استطاع خداعنا؛ وربما إرباكنا؛ ليصل إلى هدفه بإدخالنا إلى أعماق هذا العالم...

وسنجد أننا مضطرين أن نغفر له خُدعته اللذيذة، يشفع له أنه رسم لنا صورًا درامية ممتعة عشناها وعايشناها، وأعاد تقديم الكتابة الصحفية في ثوب جديد نسجه من خيوط المتعة الأدبية والإنسانية معًا.

الناشر

إسلام شمس الدين

كواليس الكتاب

- جميع القصص الواردة في هذا الكتاب مبنية على شخصيات وأحداث حقيقية... مع القليل من الخيال والتصرف.

- شكر وتقدير لكل شباب الدليفري الذين منحوني ثقتهم ، وحدَّثوني بكل صدق عن حكاياتهم مع هذه المهنة.

في شوارع القاهرة المزدحمة تنطلق بهم دراجاتهم النارية ،
وينطلقون بها ، بكل جنون وسرعة وتمرد...
هؤلاء الباحثون عن أحلامهم...
العاشقون للتمرد...
الأشرار الذين يخفون داخلهم طفلاً طيبًا...
"عفاريت الشوارع" ، "الطيَّارون" أو "الديلفري بويز"...

يُحكى أن...

وُلِد الفتى الأسمر في الصعيد الجواني ، ونشأ وعاش طفولته وشبابه في بولاق الدكرور. أحبَّ التمثيل منذ طفولته ، وبات يحلم بأن يكون نجمًا في التمثيل. في المرحلة الإعدادية بدأ يرتاد دور السينما ، ولاحظ أثناء متابعته للأفلام ، أنه لا بد من وجود شخص يحرِّك هذا العمل ، ولم يفهم من هو !... أنقذه مدرس اللغة الإنجليزية بالمدرسة الثانوية ، حيث كان يحدِّثهم عن أهمية الفن في حياة المجتمع ، وعرف منه بأن المخرج يمثِّل العمود الفقري للفيلم السينمائي...عندها قرَّر الفتى أن يكون مُخرِجًا ، ومن ثم التحق بالمعهد العالي للسينما بالقاهرة في عام ١٩٦٧.

عمن أتحدث ؟

عن المخرج المصري "عاطف الطيب" طبعًا !

لا أعرف لماذا كلما شاهدت "فيسبا" تجري في شوارع القاهرة أتذكر على الفور المخرج الراحل "عاطف الطيب"... ربما لأنه كان بالنسبة لي الأقرب والأصدق في فهم طبيعة معاناة المصريين مع كل شيء خاصة "أكل العيش" والرزق.

لو كان ما زال موجودًا معنا بشخصه -أعماله باقية بالتأكيد- كنت سأعرض عليه أن يخرج فيلمًا خاصًا عن شاب مصري بسيط وظيفته هي توصيل الطعام للمنازل بواسطة فيسبا كئيبة الشكل.

كان بالتأكيد سيمتلك هذا المخرج "الطيب" رؤية جادة وإبداعية يوثّق بها كواليس هذه المهنة.

كان سيصور فيلمه -دعوني أفترض- في شوارع حقيقية وبين بشر حقيقيين -مثلما فعل دائمًا في كل أفلامه- كنا سنرى الفيسبا وهي تجري في الشوارع والحواري والميادين...

كان سيتفهم بسهولة أن الفيسبا أصبحت هي الحل السحري الذي لجأ إليه العديد من المصريين للتغلب على أزمة الزحام... وهي أيضًا الطريقة التي قرَّر كل أصحاب محلات الطعام السريع استخدامها كوسيلة سريعة ورخيصة إلى حدٍ ما لتوصيل الطعام للزبائن في بيوتهم.

رغم أن أصل الفيسبا إيطالي إلا أنها تشبه الشخصية المصرية إلى حدٍ كبير، فهي مرنة، تتحمل الصعاب، "تفوت" من كل المخاطر بأقل الخسائر الممكنة... وهي أيضًا حزينة الملامح إلى

حدٍ كبير... هل شاهد أحدكم من قبل فيسبا تبتسم ؟

قرأت ذات يوم أن كلمة فيسبا تعني الدبور بالإيطالية (**vespa**)... ولو دقَّقت النظر في شكلها العام ستجد أن عجلتها الأمامية تشبه العجلة الأمامية التي تهبط عليها الطائرة وقد تكون هذه الملحوظة مهمة حين نقرِّر أن نعرف السبب الذي جعل العاملين في مجال خدمة توصيل الطعام للمنازل يطلق عليهم "الطيارون".

ولأن الشخصية المصرية بطبعها دائمة السخرية من كل شيء فكان يجب أن نجد أن (البطة) هو الاسم الذي أطلقه المصريون على الفيسبا وذلك لشكل جسمها الصغير البيضاوي.

ظهرت أول فيسبا في ربيع عام ١٩٤٦م ، ثم تَمَّ إنتاج ١٥ واحدة فقط داخل المصنع (بيونتيديرا) وكانت تسير بسرعة ٦٠ كيلومترًا في الساعة ... لكن مع نهاية عام ١٩٤٩ تمَّ الانتهاء من تصنيع ٣٥ ألف واحدة ، ثم أصبحت موضة الخمسينيات في كل من ألمانيا وبريطانيا وفرنسا وبلجيكا وأسبانيا.

أعود مرة أخرى لعاطف الطيب... بالتأكيد كان سيستطيع أن يجعل الفيسبا نجمة سينمائية مثلما فعل مع الأتوبيس المصري الشعبي في فيلم "سواق الأتوبيس"، ومثلما فعل مع التاكسي المصري الأسود الكئيب في فيلم "ليلة ساخنة"... وكان سيعطي للفيسبا الشكل الشعبي الذي تستحقه، بعكس الشكل "الشيك" الراقي الذي أعطاه لها "فيلليني" أحد أهم المخرجين العالميين، حين قام بإظهار الفيسبا لأول مرة في السينما عام ١٩٦٠ في فيلمه "الحياة حلوة" قبل أن يظهرها بعده "جورج لوكاس"، و"فرانسيس فورد وكابولا"... وقد اختيرت الفيسبا رمزًا للأناقة في الأفلام، فظهر هنري فوندا وهو يركبها، وكذلك جاري كوبر، وجودلو، وإيدي ميرفي، وأوين ويلسون.

كان هذا الشكل سيتغير بالتأكيد لو كان "عاطف الطيب" قد وضع الفيسبا أمام كاميرته السينمائية... لكنه للأسف لم يفعل... لذا فهذه فرصتي لأن أفعل أنا ذلك !

مريم عزيز نوح

القاهرة

◈ ◈ ◈

في البدء كانت الفكرة !

أن تصبح مهنتك هي قيادة فيسبا في شوارع القاهرة بكل مطباهًا وزحامها وتلوثها ، فهذا يجعلك في سباق مع الزمن من أجل توصيل طلب ساخن لعميل غاضب دائمًا في وقت محدد مسبقًا.

أن تعلم جيدًا أن مهنتك قد تكون سببًا في موتك أو تعرضك لحادث قد يمنعك من التحرك لفترة طويلة من عمرك فهذه حقًا مراهنة غير مضمونة على الإطلاق...

قالت لي صديقتي "زينة" حين أخبرتها عن فكرة مشروع تخرجي: (عايزة تعملي فيلم تسجيلي عن حكايات الدليفرية يا "مريم"؟، وهما دول كمان عندهم حكايات؟)... كانت تتحدث بسخرية وعدم اهتمام بالفكرة : (إيه يا "مريم" إنتي مش لاقية حاجة تعمليها مشروع تخرج ولا إيه ؟)... هكذا أضافت في محاولة لإحباط حماسي للفكرة...

أن تقتربي من الناس لتعرفي أحلامهم ، همومهم ، مشاكلهم ، حياهم... هي المتعة الحقيقية التي لن تجديها أبدًا في حفلات

أعياد ميلاد زملائنا في الجامعة ، ولا في حضور حفل زفاف صديقة لنا حين نصبح كلنا نسخة طبق الأصل بفساتين سهرة تجعلنا في عرض أزياء سخيف لم أجد له قط أي فائدة سوى أن يفرح العريس بصديقات عروسته اللاتي حولنَّ الفرح لشكل مبهر خصوصًا حين تجتمع الفتيات لالتقاط تلك الصورة التي أكرهها كثيرًا مع العروسة.

في عامي الدراسي الأول في الجامعة الأمريكية التحقت بنشاط خيري... ذهبت أكثر من مرة مع الزملاء إلى أماكن لم أكن أعرف عنها أي شيء قبل ذلك.

شاهدت بنفسي عائلات مصرية ، تسكن في عشش مبنية بالطوب اللبن ، وتتكون العشة من حجرة واحدة ، يقطنها ما بين ٦ و ٨ أشخاص ، يفتقدون أدنى مقومات الحياة الآدمية ، ينامون على الأرض، ويستخدمون جريد النخيل كدواليب.

زرت مع زملائي مناطق عشوائية في شبرا الخيمة والمطرية وعين شمس ودار السلام والبساتين وحلوان والتبين والفسطاط وإسطبل عنتر وحكر أبو دومة وماسبيرو ومنشأة ناصر والدويقة والزبالين. كتبنا أبحاثًا دراسية عن أكثر من ١٤ مليون

مصري يعيشون بالمقابر والعشش والمساجد، شاهدت بعضهم بأُمِّ عيني في مقابر البساتين والإمام الشافعي وباب الوزير والغفير والمجاورين والإمام الليثي.

أصبحتُ أنظر لكل تفاصيل بلدي بطريقة مختلفة، لم أعد أنظر للمِهن نظرة سطحية...

حين ذهبتُ مع أمي للسينما ذات يوم شعرت أنني أريد أن أتحدث مع عامل السينما الذي اصطحبنا بكشافه إلى مقاعدنا وسط هذا الكم من الظلام. فكرت فيه كثيرًا وشعرت أنه بطل الفيلم الحقيقي الذي كنت أشاهده.

سائق التاكسي ... بائع السجائر في ذلك الكشك العتيق الذي لم يتحرك من مكانه منذ وُلدتُ أنا... عامل المقهى الذي أسمع صوته دائمًا: اتنين شاي سكر برة... وعامل البنْزينة الذي سألته ذات يوم عن مرتبه فأخبرني أنه لا يأخذ أي مرتب ثابت ويعتمد فقط على البقشيش... وغيرهم كثير... أراهم جميعًا أبطالاً في فيلم لا ينتهي أبدًا، أحيا أنا فيه. وكلنا ننتظر كلمة النهاية لنستريح من كل هذه الطقوس المملة التي نفعلها دائمًا ولم نسأل أنفسنا قط هل نحبها حقًا أم لا.

حاولتُ أن أقنع صديقتي "زينة" أنني أريد أن أعرض في هذا الفيلم قصصًا عن شباب مصري يطير بمركبة فضائية على أسفلت شوارع بلدنا، شباب يواجه الخطر طول الوقت، ورغم ذلك يعشقون مهنتهم إلى حد الجنون...

وإطارات دراجاتهم البخارية لا تتوقف أبدًا عن الدوران !

لكنها للأسف... لم تقتنع !

فهي من عالم آخر غير عالمي...

مريم عزيز نوح

القاهرة

◈ ◈ ◈

سالم المنوفي

- **القاعدة الأولى :**

مفيش أمان للأسفلت... وعلشان تكون "دليفري" شاطر لازم تكون سريع في توصيل الطلب... لكن في نفس الوقت لازم تعرف إن الأسفلت لو انتصر عليك مالكش عندنا دية!

عارفة يا آنسة "مريم"... الناس ماتعرفش حاجات كتير عن مهنة الدليفري بوي، كل اللي الناس تعرفه عنه إنه مندوب توصيل الأكل من المطاعم للبيوت، لكن محدش يعرف مثلاً إن الدليفري ممنوع منعًا باتًا يدخل من الباب الرئيسي للمطعم، والباب الوحيد اللي مسموح له يدخل منه للمطعم لاستلام الطلب هو الباب الخلفي؛ باب صغير كده بيكون موجود ورا كل مطعم...

كمان الناس ماتعرفش إننا بنتعرض لحكايات ومواقف عمر ما حد تخيلها... آه والله... طب خدي عندك مثلاً الحكاية دي...

قررت أحترم نفسي وأشتغل دليفري !

اتفضلي "لبان تشكلتس" يا آنسة "مريم"...

اللبان هنا في مطعمنا زي الناموس في العشوائيات ، وصاحب الفضل في ده هو الشيف "أشرف" زميلي في المطعم اللي بأشتغل فيه ، أصل مضغ اللبان وقت تقطيع البصل بيمنع الدموع ، عشان كده تلاقي مع أشرف دايمًا "باكو لبان" يعزم به علينا.

"سالم المنوفي" من ذلك النوع من البشر الذي تتناسب طيبة قلبه مع حجم جسمه ، حين تراه ستخاف من ملامحه القاسية وحجم جسده الذي يشبه أجساد "البودي جاردات"... لكن حين يبدأ كلامه معك ويكشف لك عن أسنانه البيضاء حين يبتسم ، ستشعر أنه إنسان طيب و"روحه حلوة"...

الفترة التي تحدثت فيها مع "سالم المنوفي" لم تتعد الساعة... لكنها كانت في مقاييسي الشخصية يومًا كاملاً بل أسبوعًا ، شهرًا أو يزيد...

ليست الفترة بالدقائق والثواني، لكنها بالأثر...

هل تستطيع أن تقنعني بأن الدقائق التي شاهدت فيها سقوط بغداد من وراء شاشات التلفاز كانت أربع ساعات ونصف؟ أو أربعة أيام؟

إنها قرن من الحضارة والرقي، سقطت أمامك، بينما أنت تنظر في حيرة: هل هذه حقيقة أم "فيلم أمريكاني" مبهر لكنه خالٍ من العمق!

يعمل "سالم" في أحد مطاعم القاهرة... وقفتُ معه أمام المطعم وشرحت له فكرة مشروع تخرجي... كان متخوفًا قليلاً من الكلام... ترى هل واجه "سالم" نفس التخوّف حين طلب منه أحد أصدقاء حارته أن يكون حارس مرمى في مباراة كرة قدم بكرة شراب منذ سنوات بعيدة ؟

وافق "سالم" أن يتحدث معي... فعل ذلك منذ عشر سنوات حين راهنه زملاؤه على قدرته على العوم في الترعة القريبة من شارعهم... كان وقتها يخاف من الماء... لكنه رغم كل شيء قبل التحدي وكسب الرهان !

كان واقفًا بجانب الفيسبا الخاصة به... يعاملها بحب شديد وكأنها صديقته... تمامًا كما يصرف الشاب كل ما يملك وما لا يملك من عواطف ومال على صديقته، يفعل هو معها...

بينما هو يتحدث معي كانت هناك "فوطة" في يده يجري بها على جسد الفيسبا في محاولة لجعلها تلمع... يلاحظ ابتسامتي فيشرح لي :

– الدليفري الشاطر بيبان من مكنته.

أبتسم لمقولة "سالم" وأتذكر حين ذهبت لحضور ورشة أدبية عن الكتابة، صدعني المحاضر بكلام موزون مقفى عن أن "الكاتب الشاطر بيبان من قدرته على استخدام تعبيرات لغوية صعبة لا يفهمها العامة"... لم أقتنع وقتها بكل هذا الكلام الذي اتخذ وقتها صبغة أكاديمية ووجدته بعيدًا عن "البساطة"... فالكاتب يكتب للعامة... لماذا مطلوب منه أن يستخدم جُملاً صعبة لا يفهمونها ؟...

– تشربي شاي ؟

يقولها "سالم" بينما زملاؤه ينظرون لنا ضاحكين وأسمع أحدهم "يلقِّح" ببعض الكلمات :

– الله يسهل له يا عم...

فأضحك... أتفهم غرابة ما يحدث... زميلهم يقف مع تلك الفتاة التي جاءت من أروقة الجامعة الأمريكية بكاميرا فيديو صغيرة "HD" لتتحدث معه.

أشكره وأبدأ في طرح سؤالي الأول عليه... ينظر للافتة المطعم ويصمت ثوانٍ ثم يضع يده اليمنى داخل جيبه وكأنه يبحث عن شيء ما... بعد ثانية أخرجها ومعها سلسلة مفاتيح...

– بدأت مهنة الـــ"دليفري" من أكثر من أربع سنين... ناس كتير بتستغرب لما تعرف إني حاصل على ليسانس آداب قسم تاريخ.

أنا لم أكن من "الناس الكتير" التي يتحدث عنهم سالم، فقد قابلت شبابًا مصريًا "زي الورد" تخرج في كليات مثل الطب والهندسة وعمل في مِهن بعيدة كل البعد عن تخصصه الأصلي: "جامع قمامة"، "مندوب مبيعات"، "عامل في بنْزينة"... قابلت الكثير من هؤلاء الذين يعرفون قيمة العمل ولا يخجلون من الالتحاق بأي وظيفة حتى لا يجلسون على المقهى عاطلين! لماذا

تنظر مجتمعاتنا لهذه المهن نظرة دونية؟ المشكلة الحقيقية ليست في تلك المهن بقدر ما هي في "الملاليم" التي يحصلون عليها منها.

يكمل "سالم" كلامه قائلاً :

- زي كل الشباب حديثي التخرج كنت بأشتري جريدة الأهرام كل يوم جمعة ، كنت بأدور زي المجنون على أي وظيفة تناسبني... بعد أربع شهور من البحث لقيت وظيفة مناسبة لتخصصي... كانت مدرس تاريخ في مدرسة إعدادية خاصة في الهرم... كان الشغل بنظام عقد لمدة عام دراسي.

بتركيز شديد أستمع لسالم وهو يكمل لي:

- اكتشفت إن مدير المدرسة كان راجل قليل الأدب... في يوم سب الدين لمدرس في المدرسة وكان موجود عدد كبير من المدرسين والطلبة ، وقاله : لو مش عاجبك الشغل امشي وأنا أجيب ١٠٠ مدرس أحسن منك ، المدرسين في مصر أكتر من الزبالة في شوارعها !

يتوقف "سالم" عن الكلام لبرهة ويعيد عرضه مرة أخرى :

- متأكدة إنك مش عايزة تشربي شاي ؟

- لأ عايزة أسمع باقي حكايتك...

- في اليوم ده حسيت إن مهنة التدريس مابقاش ليها أي قيمة في البلد دي، والإهانة الكبيرة اللي اتعرض ليها زميلي ممكن تحصل معايا في أي وقت خصوصًا إني مابحبش الحال المايل، والمدرسة دي كانت كل حيطانها مايلة بصراحة.

- سيبك من قلة أدب صاحب المدرسة وخليني أكلمك عن مرتب المدرس... مرتب مايكفيش فرخة عايشة في عشة فوق سطوح... والدروس ماكانتش زي ما أنا كنت فاكر... في حيتان مشهورة بإنها حيتان الدروس الخصوصية وماكانش حد مننا كشباب جداد يقدر ينافسهم.

نظام التعليم المصري يجرِّم الدروس الخصوصية ومع ذلك الإعلانات عنها تملأ شوارع المحروسة بأسماء وأرقام تليفونات المدرسين... أتذكر إعلانات الدروس الخصوصية التي أقرأها في كل الجرائد المصرية وحتى الحكومية منها فأبتسم...

- أعرف واحد صاحبي بيشتغل دليفري... هو الوحيد اللي في شلتنا قدر يكوِّن نفسه ويجهِّز شقته في ظرف ٣ سنين

شغل... فقررت أحترم نفسي وأشتغل دليفري !

- سواقة الفيسبا سهلة ، أنا اتعلمتها بمساعدة صاحبي اللي بأكلمك عليه في شهرين بس... بعد كده طلّعت رخصة... ولقيت شغل عند كبابجي مشهور في شارع جامعة الدول... اشتغلت في المكان ده سنة كاملة ، اتعلمت أصول المهنة وعرفت كل شارع وبيت في المهندسين وميدان لبنان وأرض اللوا والدقي.

- الكارثة حصلت في يوم بعد ما خلصت شيفتي... كنت مروَّح بيتنا ، عربية هيونداي ماتريكس كان سايقها شاب صغير ومعاه صحابه ، خبطني ، وماحستش بنفسي غير وأنا طاير من فوق الفيسبا... فضلت سنة كاملة أتعالج من الحادثة دي... وطبعًا المطعم شال إيده من الموضوع لأن الحادثة حصلت بعد انتهاء شيفتي... صاحب المطعم قالك وأنا مالي دي مش إصابة عمل.

يتذكر "سالم" قراره وقتها :

- بعد المصاريف الكتير اللي اتكلفها علاجي ، وبعد نومة

السرير، ومجهود العلاج الطبيعي... قررت أسيب المهنة دي خالص وأدوّر على مهنة تانية مافيهاش خطورة، أو على الأقل نسبة الخطورة فيها تكون أقل.

– مش هأقول لك إني بحب المهنة دي، لكن ببساطة ماعنديش بديل... أنا تقريبًا نسيت تاريخ مصر اللي أنا درسته، ومش فاكر غير إني عايش في أصعب فترات "تاريخ" حياتي... علشان كده قررت أرجع للمهنة دي تاني...

– هأقولك حاجة... أنا عمري النهاردة ٣٥ سنة ولسه متجوزتش ولا عملت أي حاجة لمستقبلي... بس على الأقل قدرت أصرف على أمي وإخواتي بعد وفاة أبويا، والحمد لله مخلتش أهلي محتاجين حاجة... أنا مستني أجوّز أختي "نجلاء" وبعد كده هبتدي آخد بالي من مستقبلي... وأتجوز !

– طب والخطر اللي انتصر عليك مرة ؟

ينظر "سالم" للسماء ويجيبني ببعض الرضا ورقرقة عيونه :

– الأعمار بيد الله...

"يا سالم... يا سالم... "الطلب" تم تجهيزه...

يقاطعنا صوت زميله ، فيقول لي سالم وهو يتأهب لدخول المطعم :

- معلش لازم أدخل أستلم الطلب...

أضغط على زر إغلاق الكاميرا وأشكر "سالم". وأسأل نفسي: من أين يأتي الشباب المصري بكل هذا القدر من الرضا وعشق الحياة ؟

بعد الشُغل !

في إمبابة ، وبالتحديد عند ميدان المحكمة ، توقف الميكروباص الكئيب الذي لا يختلف كثيرًا عن خيل الحكومة حين تصل لمرحلة يجب "طخها" فورًا ، لكن صاحب الميكروباص لا يعترف أبدًا بأن مركبته تستحق "الطخ" بل إنه كتب على مؤخرة المركبة "متبصليش بعين ردية بص للي اتدفع فيا" في رسالة واضحة وصريحة "اللي هيحسد عربيتي ، عمري ما أحبه ولا أدخله بيتي"!... أما العادم الخارج منها فحدّث عنه ولا حرج، لو كنت تمتلك سيارة ووضعك حظك السيئ خلف هذا الميكروباص فستشعر حقًا بعمى مؤقت وضيق في التنفس وستصبح مهمتك الوحيدة هي محاولة الطيران بسيارتك بأي طريقة فقط لتسبق هذا الميكروباص.

من هذا الميكروباص نزل "سالم المنوفي" بعد أن أعلنها السائق للبشر ضعيفي الحيلة الذين ركبوا معه وعذبهم بسرعته المتهورة في القيادة وكأنهم يركبون عربة في ملاهي دريم بارك:

– الآخر يا حضرات !

بعد نزوله من الميكروباص يتوجه إلى الشارع الذي يسكن فيه ولا يبتعد سوى دقيقتين عن ميدان المحكمة... يتوقف قليلاً أمام بائع فاكهة ويقرر شراء "اتنين كيلو موز واتنين كيلو فراولة" ثم يكمل سيره... يلقي السلام على بعض من يعرفهم ومن لا يعرفهم، جمل محفوظة تقال بهمهمة سريعة غير واضحة ويتحول فيها كل السائرين في الشارع لـــ"أبو حميد".

– صباح الفل يا بو حميد.

– إزيك يا بو حميد ؟

– سلام عليكم يا بو حميد.

لكنك لن تعرف أبدًا من هو هذا "الأبو حميد" الشهير !

في هذا البيت العتيق الذي كُسرت أول درجة من درجات سلمه، يصعد "سالم" مجهدًا مرهقًا، يطرق الباب مرتين قبل أن تفتح له أخته "نجلاء" بسعادة كبيرة وتقول جُملة كل يوم :

– حمد لله على سلامتك يا أخويا... على فكرة فاكهة إمبارح لسة ماخلصتش هو كل يوم كده؟!

تقولها وهي تحمل عنه شنط الفاكهة ولا تنتظر منه أي إجابة...

- سلام عليكم يا ست الكل.

يقولها لأمه الجالسة على أريكة مريحة في صالة بيتهم الضيق تشاهد التليفزيون.

- حمد الله على سلامتك يا حبيبي... حضري لأخوكي ياكل يا نجلاء.

بعد أن تناول عشاءه، وقبل أن يدخل الحمام لغسل يديه نظر لأخته نجلاء متذكرًا شيئًا ما :

- آه بالمناسبة... بكرة في بنت هتيجي تسألك شوية أسئلة عني... قابليها كويس يا نجلاء... هي بنت مجنونة كده وزي العسل... اسمها "مريم" !

لكن سالم جدع !

– لو سالم اتأخر خمس دقائق عن ميعاد رجوعه للبيت بنتصل بالمطعم على طول عشان نطمئن عليه... من ساعة الحادثة البشعة اللي حصلت له وإحنا قلقانين عليه طول الوقت من الشغلانة الهباب دي...

– أبويا ربنا يرحمه ربى أخويا "سالم" على الرجولة الحقيقية وإنه يقدر يعتمد على نفسه... أنا فاكرة لما كان يمشي معايا في الشارع لما كنا أطفال ، كان يتخانق مع طوب الأرض علشاني ، أي شاب كان يبص لي في الشارع أو يعاكسني كانت تحصل له مشكلة.

– أنا مقدرة جدًا كل اللي بيعمله علشاننا ، ورغم إن فرق السن بيني وبينه مش كبير ، سنتين ، بس أنا فعلاً بأعتبره أبويا ، ومش متخيلة الحياة من غيره ، وفعلاً صدق اللي قال: اللي خلف ماماتش ، سالم شبه أبويا الله يرحمه في حاجات كتير ، راجل وسيد الرجالة ، ووجوده في حياتنا مخلينا الحمد

لله مستورين ومش محتاجين لأي حد ، ده كفاية إنه بيستخسر في نفسه علشان يجهزني، دايمًا يقول لي: أنا مش هرتاح أبدًا غير لما أشوفك يا "نجلاء" متجوزة أحسن جوازة...

- أنا بحلم له بمستقبل أحسن، نفسي أشوفه مستقر في وظيفة أمان ، مش كل يوم يقابله خطر جديد... شوارع مصر ماعدتش أمان، كله بيقول: يلا نفسي... ربنا يحفظه يا رب هو وكل اللي زيه...

- تمشي؟... تمشي إزاي يا آنسة "مريم" مايصحش أبدًا والله لازم تشربي شاي.

▪ القاعدة الثانية :

لمَّا توصل بالطلب للعميلماينفعش تقف قدام الباب مباشرة... لازم تقف على جنب شوية بحيث إن عينيك ماتكنش كاشفة شقة العميل... لمَّا يخرج لك العميل تبص في عينه وتقول له: "مساء الخير ، طلب حضرتك يا فندم"!

حرَّمت أشتغل مع مدير مسيحي !

يمتلك "ياسر" وجهًا مريحًا إلى حدٍ كبير ، تميزه ابتسامة عريضة لا تغيب عنها الشمس... "ياسر" ممشوق القوام ، ستوقن على الفور أنه منتظم في الذهاب إلى صالة "جيم" تعطي لجسده هذا النوع الرجولي من العضلات واللياقة.

"ملتحي" ، هناك علامة داكنة اللون في منتصف جبهته تعلن للجميع : "أنا أصلي وأطيل السجود على الأرض"... يحفظ "ياسر" القرآن الكريم كاملاً ، ويستعين في حواراته بآيات كريمة حين يحتاج الأمر لتعليق إلهي على ما يحدث حولنا من أحداث.

كان موعدي مع ياسر أمام مجمع التحرير مباشرة... الساعة كانت الخامسة والنصف مساء... على أحد المقاعد المصنوعة من الرخام جلسنا... وبالقرب منا تجلس بائعة الشاي التي تمارس عملها يوميًا في هذا المكان بعد الرابعة عصرًا.

لن أحدِّثكم عن محاولاتي العديدة لإقناع "ياسر" بمقابلتي والحديث معي... لا تنسوا أبدًا أنني غير محجبة... لن أصدّعكم بتفاصيل اللقاء الذي أصرَّ ياسر على أن يكون في مكان عام وبين كل الناس!

بعد جلوسنا بدقيقة واحدة اقترب منا شاب صغير السن، لو كان يمكن أن نطلق على مراهق في الخامسة عشرة من عمره شابًا... خمَّنت قبل أن ينطق أنه مندوب بائعة الشاي وجاء ليعرض علينا بسرعة وكأن وراءه مشاغل أخرى "شاي... حاجة ساقعة"... نظرت لياسر وابتسمت:

– أيوه... عايزين اتنين شاي...

قال "ياسر" موجهًا كلامه للشاب الصغير :

– بس أنا الشاي بتاعي تقيل سكر خفيف !

لا يحب ياسر العمل مع مدير "أنثى" ولا مدير "مسيحي"... هكذا تحدث معي بكل صراحة... وحين سألته عن السبب نظر لحذائه الأسود ثم بدأ في الكلام...

سأحكي لكِ الحكاية من البداية...

- أبويا علمني إن الشغل عمره ما كان عيب ، ما دام عمل شريف لا يغضب الله أو رسوله ، وهذا هو أهم درس تعلمته من أبويا... أبويا كان إمام مسجد ، وكل الناس في منطقتنا يحترمونه ويعتبرونه شيخهم ، ودائمًا باب بيتنا مفتوح للجميع : جار يحتاج لفتوى ، أُم تريد أن تحفظ أولادها القرآن الكريم ، قريب يحتاج لنصيحة... الكل مرحَّب به في بيتنا.

جاء المراهق حاملاً صينية عليها الشاي ، أخذ ياسر كوبه ووضعه بجانبه على الأرض ، وأخذ أيضًا كوب الماء وتناوله على ثلاث مرات... وضعت كوب الشاي الخاص بي بجانبي... كنت متحمسة جدًا للاستماع إلى ياسر.

- المهم... حصلت على دبلوم تجارة... بعد ذلك درست سنتين في معهد إعداد الدُّعاة التابع لأنصار السنة المحمدية... ودرست على أيدي علماء متمكنين.

رشف رشفة من كوب الشاي ثم أكمل حديثه:

- اشتغلت فترة خطيب جمعة بنظام المكافأة في مسجد تابع لوزارة الأوقاف، لكن الفلوس كانت قليلة جدًا، **٢٥** جنيه في الخُطبة الواحدة، يعني كنت أحصل في الشهر على ١٠٠ جنيه... يمكن تضحكي عندما أخبرك إني كنت متخيل إن ربنا سبحانه وتعالى ممكن يبارك في المبلغ ده رغم قلته، على اعتبار إني بأشتغل في وظيفة دينية... لكن واضح إن البركة قلّتْ من كل شيء في حياتنا حتى من فلوس الشيوخ...

- المستقبل بيد الله لكننا يجب أن نسعى في هذه الحياة... ربنا هداني لفكرة قدرت أغيّر بيها مستقبلي... قدَّمت أوراقي في معهد خاص لدراسة الكمبيوتر يقع مقره في العباسية أمام مطعم شهير... درست في هذا المعهد برنامج التصميم "فوتو شوب" لمدة ستة أشهر كاملة...

- فكرت في هذا الموضوع بعد أن وجدت أن صفحة الوظائف الخالية في الجريدة لا يوجد بها سوى مهنة مندوب مبيعات، أو مصمم جرافيك... فقررت أتعلم تصميم جرافيك لأني

كنت أحب الكمبيوتر وبرامجه ، وسبق لي العمل لفترة في صيانة أجهزة الكمبيوتر قبل أن تغلق المصنفات هذا المحل... البرنامج ممتع وتعلمته بسرعة...

- بعد ذلك وجدت عملاً في مكتب دعاية وإعلان... كانت مهام شغلي هي تصميم كروت شخصية... صاحب الشغل كان "مسيحي" ، وأبويا علمني أحب كل الناس حتى المسيحيين... لكن هو كان عنده مشكلة معي لأني "ملتحي"... ولا تسأليني لماذا وافق على قبولي في العمل معه رغم أنه يعرف أني "ملتحي"... يعني لم أربّ لحيتي في محله بل جئته بها... لمّا كان يأتي لنا شغل تصميم فلايرز وبانرات بها صور فتيات ، كنت أعتذر عن تنفيذ ذلك ، وكان البديل في التنفيذ هو زميل يعمل معي في نفس المكان... لكن صاحب المكتب كان يسخر مني ، ويعتبر ذلك تطرفًا ماهوش لازمة!

توقف "ياسر" عن الكلام ورشف رشفة كبيرة من كوبه... ثم:

- المشكلة بدأت بعد أن ترك زميلي العمل... ساعتها أصرَّ صاحب المكتب إن أنا اللي أعمل كل شغل المكتب مهما

كان... شرحت له أكثر من مرة أن خلفيتي الدينية تمنعني من تصميم شغل ومطبوعات فيها فتيات أو أشخاص في أوضاع غير لائقة... لكنه لم يحترم قط قناعاتي... وطردني بشكل مهين...

يتذكر "ياسر" ما حدث فيصمت قليلاً ويظهر بعض الحزن على ملامحه... ثم يحدثني عن قراره الذي اتخذه بعد ذلك:

- من ساعتها وأنا اتعقدت من الشغل مع مسيحيين... كل مكاتب الدعاية والإعلان التي قدَّمت فيها بعد ذلك كانت ترفضني فورًا لما أقول إني لا أصمم مطبوعات بها فتيات أو أي حاجة تغضب ربنا... ولن أنسى أبدًا الرجل الذي نظر لي بسخرية وهو يقول: إحمد ربنا إني هشغلك وإنت دبلوم ده طلاب فنون تطبيقية على قفا من يشيل!... وزاد ضيقي عندما علمت أنه مسيحي!

أبتسم حين يتوقف ياسر عن الكلام...

ينظر لي ثانيةً ثم يضحك هو أيضًا:

- خلاص اتعقدت من المسيحيين!

يكمل قائلاً:

- جلست في بيتنا حوالي خمسة أشهر من غير شغل... حتى قرأت إعلانًا في جريدة الوسيط عن مطعم كشري في عباس العقاد طالب "طيار" بشرط يكون غير مدخن ويصلي... الإعلان أعجبني وحسيت إن أصحاب المطعم بالتأكيد ناس ملتزمين دينيًا فقررت أقدم في هذه الوظيفة خصوصًا إني مثل أغلب شباب المناطق الشعبية متمكن من سواقة الموتسيكلات... وكان كل ما ينقصني هو رخصة قيادة دراجة بخارية!

- اتفقت مع صاحب المطعم أن آتي له بعد الحصول على رخصة... بعد ذلك بفترة استلمت الشغل وكنت مرتاحًا جدًا في هذا المطعم... المطعم كان شغال كويس جدًا... وكل العاملين فيه ملتزمين دينيًا... وطبعًا إنني عارفة إن المرء على دين خليله...

هنا قاطعنا شخص ما كان يسأل عن شارع القصر العيني... وصفنا له الشارع... بعدها أمسكنا في وقت واحد أكواب الشاي ولم نترك الأكواب إلا وهي فارغة...

- عملت في هذا المطعم سنة كاملة... كنت مبسوط ومرتاح نفسيًا.. لكن الأمور اختلفت بعد وفاة صاحب المطعم... الله يرحمه كان إنسان ممتاز ومحترم وعارف ربنا... بعد وفاته حصلت بين أولاده مشكلة بسبب توزيع الميراث... وهكذا تم إغلاق المطعم وتسريح كل العمال...

- استفدت كثيرًا من عملي في هذا المطعم... عرفت كل شوارع مدينة نصر ومصر الجديدة... وعرفت إزاي أتعامل مع الفيسبا وأهتم بها... سنة كاملة جعلتني "ديلفري" متميز بفضل الله وحمده!

وما فعله "ياسر" بعد ذلك كان سعيًا للرزق كما يسميه:

- قدَّمت في شركة شهيرة لها اسم أجنبي، لكنهم رفضوني لأني "ملتحي"، وهم لا يوظفون ملتحين... تعجبت جدًا عندما عرفت هذه المعلومة، ما دخل اللحية في العمل أنا مش عارف بصراحة ؟!

– ساعدني أحد زملائي الذي كان يعمل معي على الالتحاق بسلسلة مطاعم بيتزا... لم يكن عندهم أي مشاكل مع الملتحين... وبالفعل استلمت الشغل في فرع مدينة نصر... مدير الفرع كان واحدة ست... مش عارف ليه كانت حطاني في دماغها... عندما كانت تتكلم معي لم أكن أنظر لها مباشرة ، وهذا شيء أفعله مع كل الستات ، أنا كده وشخصيتي كده... لكنها لم تكن تفهم ذلك، كانت متخيلة أني لا أحترمها، وكانت دائمة الصراخ: لما أكلمك تبصلي!

توقف "ياسر" عن الكلام حين سأله شخص ما "لو سمحت الساعة كام معاك؟"... نظر للرجل باهتمام وأخبره بالوقت... ثم بابتسامة عريضة أكمل ما بدأه :

– كنت بأقولك إيه ؟... آه... الست المديرة... معها شاهدت الويل لمدة ثلاثة أشهر كاملة... لم تقتنع – أو ربما كانت بتتلكك– إن كوني "ملتحي" لا يمنع أني أهتم بمظهري وأستطيع أن أكون واجهة للمحل لدى العملاء...

- في عملنا يوجد تقييم كل ثلاثة شهور للعاملين في المطعم... وهي كانت تعطيني زيرو في المظهر... مع إن مظهري كويس والله وبأهتم بنظافتي...

- أنا كنت فاهمها جدًا... الست دي كان عندها عقدة من الملتحين أصلاً... وبعد عمل صلاة استخارة، طلبت من الإدارة نقلي لفرع ثان للمطعم، بعيدًا عنها... وجئت لفرع مصر الجديدة، الذي قابلتك فيه بالأمس...

قال لي وهو ينظر للسماء للحظة ثم ينظر لي:

- الحمد لله رب العالمين، أنا مرتاح أكتر في فرع مصر الجديدة... المدير إنسان محترم جدًا ولا يوجد عنده أي مشاكل مع الملتحين... ومهنتي نفسها ممتعة، كل يوم هناك تجربة جديدة تبعد عني الملل... مثلاً في رمضان اللي فات حصل لي موقف لن أنساه أبدًا: قمت بتوصيل طلب لعميل يسكن في الخليفة المأمون، وصلت بالطلب في نفس اللحظة التي انطلق فيها أذان المغرب، العميل أصرَّ إني لازم أفطر معه، حاولت أقنعه أن ذلك ممنوع في عملنا لكنه كان مُصِرًا

بطريقة شديدة جدًا ، لدرجة إنه قال لي ضاحكًا "لو مادخلتش تفطر معايا هتصل بالمطعم وأقدم فيك شكوى" !. وفعلاً فطرنا مع بعض ، وبعد الإفطار صلينا المغرب مع بعض... كان دكتور جامعة ويعيش بمفرده... وأنا نازل من بيته كنت مبسوط جدًا ، شعرت إن الدنيا لسه فيها خير... وفي ناس كتير رغم المستوى العالي اللي عايشين فيه لكنهم متواضعين جدًا وعارفين ربنا!.

– أحب مهنتي لأنها تجعلني حُرًا طول الوقت... أستلم الطلب وأنطلق به ولا أحتك بزملاء العمل مما يقلِّل من نسبة المشاكل... كمان البقشيش يساعدني على أن أحيا حياة كريمة... ولا أحتاج لأي شخص.

– أنا حاليًا مشارك في جمعية مع بعض زملائي "الدليفرية"... وبعد شهرين سأقبضها وهتجوز بها... أنا خاطب إنسانة مكنتش أحلم بها ، هي أساسًا ابنة صديق لوالدي ، جلست معها كذا مرة وفهمنا بعض... الناس عندها صورة غلط عن الملتحين ، فاكرين إننا متخلفين ، ولما واحد "ملتحي" بيتقدم

لبنت لا يراها إلا ليلة الدخلة، والكلام ده غلط لأن سيدنا النبي عليه أفضل الصلاة والسلام قال إننا لازم نقعد ونتكلم ونفهم بعض قبل الجواز...

قبل أن أترك ياسر قال لي:

- عارفة إيه هي أكتر حاجة بتوجعني ؟...

لَمّا بوصل طلب لعميل فيفتح ليا الباب طفل صغير يرميلي الفلوس ويقفل الباب في وشي... بأحس ساعتها إني موجوع... موجوع قوي !!.

لكم دينكم ولي دين

تقول مديرة "ياسر" السابقة:

- عندي مشكلة حقيقية في التعامل مع كل من لا يحترم الاختلاف ، و"ياسر" لم يكن يحترم قط أن تكون مديرته في العمل مسيحية . في يوم كنت أقف بالقرب من المكان الذي يجلس فيه "الدليفرية" خلف المطعم وسمعته يقول لزملائه ساخرًا : ربنا يهدي المسيحيين ويعرفوا طريق الإسلام؛ طريق الحق!... على اعتبار إني "ضالة" ومن "المغضوب عليهم" كما يردِّد عليه شيوخه ليل نهار!.

- ينسى دائمًا "ياسر" أن دينه أخبره "لكم دينكم ولي دين". كما ينسى أيضًا أن إهمال العمل شيء سيحاسبه الله عليه... هل يصح أن يتأخر "أوردر" على عميل لمجرد أن "ياسر" يريد أن يصلي كل الصلوات في وقتها ؟

- خذي عندك هذا المثال على عدم احترامه لعمله... أخبرته أكثر من مرة أنه لا يصح أبدًا تقصير البنطلون الخاص

بالعمل بهذا الشكل المضحك، لكنه يرى أن تقصير البنطلون سُنة نبوية، وأنا لا أعترض على معتقداته بل على العكس أحترمها، لكنني أعترض على أن يغيِّر قواعد وقوانين الشركة بسبب معتقداته، وقوانين الشركة تشترط شكلاً معينًا للملابس، وتقصيره لبنطلونه بهذا الشكل يجعله مختلفًا عن باقي "الدليفيرية".

- بأحس ساعات إن المشكلة الحقيقية هي غياب الوسطية من كل شيء في بلدنا... غني قوي وفقير قوي... متدين لدرجة التطرف أو منفلت لدرجة الفساد... متفائل أو مكتئب... عايش في منطقة راقية أو عايش في منطقة شعبية... وبين الأبيض والإسود مساحة فاضية مفيهاش أي ساكن...

- وعلى طريقة "البس اللي يعجبك وبرضه كل اللي يعجبك" يتعامل "ياسر" مع المظهر في العمل... المفترض أن الشكل "الديفولت" للدليفري هو بنطلون من القماش وأعلاه تي شيرت قطني بولو يدخل داخل البنطلون ليعطي شكلاً مهندمًا للدليفري... لكن كان "ياسر" يصر على إخراج التي

شيرت خارج البنطلون مما يجعل مظهره العام عجيبًا!

- قمت بعمل "ميتنج" معه لأعرف السبب الذي يجعله يفعل ذلك لكنه رفض أن يخبرني وكان يضايقني كثيرًا أن لا ينظر لي حتى أثناء الكلام، وكأن نظرته لي ستكون سببًا في دخوله جهنم!... في يوم عرفت من "السوبر فيزر" المسئول عن شباب الدليفري أن سببه في ذلك ديني بحت حيث أخبره أحد الشيوخ أن الأفضل للرجل أن يخرج قميصه خارج البنطلون لأن البنطلونات أحيانًا تجسِّم العضو الذكري للرجل!...

إنتي مش شايفة التفكير ده عجيب جدًا؟

- عارفة المشكلة الحقيقية ليست "ياسر" ، المشكلة الحقيقية مجتمع كامل يعيش في حالة دروشة ، منذ سنوات كانت الفتيات العاملات في مطاعم الأكل السريع كلهن بدون حجاب ، وكان هذا من ضمن شروط العمل ، الآن لدينا مشكلة كبيرة ، حين ننشر إعلانًا نطلب من خلاله فتيات للعمل كمضيفات في المطاعم نجد كل المتقدمات محجبات ،

بل صدقي أو لا تصدقي هناك منتقبات يرغبن في التقدم للعمل!

- ما الذي حدث للمجتمع؟ أنا شخصيًا لا أعلم لكني غير سعيدة على الإطلاق بهذا الذي يحدث، مظاهر التدين تحيط بمجتمعنا من كل جانب ومع ذلك كل ما هو سلبي يحدث حولنا... التحرش بالفتيات في الشوارع، الكذب والنفاق، نعيش في مجتمع افتقد الإنسانية في كل شيء!

- نعيش في مجتمع يظن أنه شعب الله المختار... لكن الحقيقة أنه شعب الله المحتار!

أشرف زكريا

- **القاعدة الثالثة :**

إنت سفير المطعم ، شكلك لازم يكون نضيف طول الوقت... ابتسامتك تنوّر وشك مهما حصل...

سامع؟ مهما حصل!

"يُحكى أن"...

لطالما عشقت هذه الجُملة، فهي المفتاح السحري الذي يفتح لي أبوابًا لا حصر لها من الخيال... وهي نفسها الجملة التي جعلتني أصبح طالبة تدرس الإعلام في الجامعة الأمريكية بالقاهرة.

"مريم عزيز نوح"، هذا هو اسمي... ٢١ هو عدد السنوات التي عشتها على هذه الأرض الحزينة أحيانًا، المتغيرة دومًا... تربيت ما بين أُمٍّ تعشق الفن وكل ما يتعلق به وأب يعشق طب الأسنان ويراه الحقيقة الوحيدة في هذا الكون، لم أشعر قط أن والدي يتعامل بإبداع مع مهنته، بل كان يعتبرها وظيفة تعطيه وضعًا معينًا في مجتمع أدمن الحكم على الناس من مهنهم وليس عقولهم أو أفكارهم. لكنه - والدي - كان صريحًا وواضحًا لأقصى حد، لم يدَّعِ قط أنه اجتماعي أو أنه يحب السينما، بل كان يعبِّر عن مشاعره بكل صراحة حتى لو تسبب الأمر في بعض الإحراج للآخرين.

قال لي أبي حين أردت دراسة الإعلام: (قد تندمين ذات يوم على اختيارك، الأفضل لكِ أن تدرسي طب الأسنان مثلي، الإعلام ليس له مستقبل، الشكل الاجتماعي الذي سيعطيه لك

لقب دكتورة يستحق منك بعض التعب)... لكني لم أحلم قط بأن يصبح لقب دكتورة من نصيبي ، أنا أُحب الكتابة ، كتبت أول قصة لي وأنا عمري ١٤ سنة ، ونشرت القصة في مجلة "باسم" ، والسعادة التي سببتها لي رؤية اسمي منشورًا بالمجلة جعلتني أحلم بأن أراه مرة أخرى ، وأخرى ، وأخرى. ثم من يعلم المستقبل على هذه الأرض؟ "لوميير" مخترع السينما نفسه لم يكن يعلم قط مستقبل ما هو مقدم عليه وحين أعلن عن حاجته لمصور يساعده في العمل تقدم له شاب أراد أن يخوض هذه التجربة فقال له لوميير : (أنت تعلم أن الوظيفة التي أعرضها عليك ليس لها مستقبل ولن تعطيك لقب طبيب أو قاض أو صاحب حانة). ورغم ذلك وافق الشاب على خوض التجربة... والإعلام لا يختلف كثيرًا عن السينما من وجهة نظري.

الحياة داخل الجامعة الأمريكية مختلفة تمامًا عن التعليم المصري الذي قضيت فيه كل سنوات عمري الدراسية حتى حصلت على الثانوية العامة... هنا في الــ **AUC** متاح لك أن تبدع ، أن تدرس وتحب ما تدرسه في نفس الوقت... اخترتُ دخول عوالم الإعلام لأنني أردت أن أصبح مبدعة ذات يوم.

لا زلت أذكر ذلك اليوم الخريفي قبل أربع سنوات وأنا أحمل كراسة المحاضرات وأتجه للطابق الثاني بالمبنى الرئيسي بمقر الجامعة الأمريكية لأحضر أول فصول معهد اللغة الإنجليزية ، وعيناي تتجولان هنا وهناك تستعيدان كل ما أحمله من هيبة وتقدير ورهبة لهذا الكيان الغامض الذي صرت جزءًا منه ، أستعيد عبارات أبي الغاضبة لأني تركت كلية طب الأسنان ، والشيخ الذي سمعته بنفسي على إحدى القنوات السلفية يؤكد لأحد المتصلين تليفونيًا أن دخول الجامعة الأمريكية "حرام شرعًا"!.

يومها كنت تلك الفتاة القادمة من عالم مختلف حاملة أحلامًا وطموحات كبيرة ، غريبة في مجتمع لا أعرف فيه أحدًا ، اتخذت قرارًا لا رجعة فيه أن أتحدى رغبة أبي وأثبت للجميع أني لا أريد أن أكون طبيبة وأن الجامعة الأمريكية هي طريقي للهروب من نظام تعليم مصري حكومي يدعو للشفقة.

كان عليّ أن أقضي فصلاً دراسيًا في اللغة الإنجليزية أستكشف فيه الجامعة بحذر ، ثم فصلاً آخر في علوم الكمبيوتر لأتخذ القرار

الصعب الذي كان عليَّ أن أقنع به نفسي أولاً ثم أقنع به أهلي... أريد دراسة ما أحب... الإعلام.

الآن... وبعد أن لم يتبق لي سوى أسابيع معدودة قبل أن أتسلم شهادة تخرجي في الجامعة الأمريكية ، أتوقف لأتساءل : هل حقًا تغيرت ؟ عندما أخوض نقاشًا اليوم مع أصدقاء الثانوية وأختلف معهم في رأي جوهري ، تنظر لي إحداهن لائمة وتقول: "الجامعة الأمريكية غيرتك يا مريم"... وأنا لا أنكر ذلك أبدًا ، لقد غيرتني الجامعة الأمريكية بنظام تعليمها المختلف، لكنني بصفة خاصة أؤمن أن من غيرني هم الناس الذين قابلتهم هناك... المكان لم يغيرني، ثقافة من حولي هي التي غيرتني.

لم أندم يومًا على نادٍ دخلته أو نشاط مارسته هنا ، كل فرصة كي ألتقي بمن يختلف عني في الفكر ، في الدين ، في اللغة ، وفي التوجهات السياسية ، كل من قابلته أو تعرفت به أو اقتربت منه ، وراء كل شخص قصة ، يمكنني أن أستفيد منه بشيء ، أو أفيده في شيء ، يمكنه أن يغيِّر فيَّ شيئًا ، أو أغيِّر فيه شيئًا آخر... قابلت كل الوجوه السياسية والدينية والأخلاقية... في

عامي الأول بالجامعة كنت أكتب في "دايمنشتر" وكان معنا ضمن فريق التحرير من يكتب مُسبِّحًا بحمد الحزب الحاكم، ومن يتحدث باسم المعارضة، كان معنا الشيوعي والإخواني والعلماني... كل هذه الخلفيات المختلفة قابلتها في أول أيامي واصطدمت بها وتأملتها في صمت، لأتعلم عن حق القاعدة الجوهرية: الاختلاف في الرأي ينبغي ألا يفسد للود قضية.

نعم، لقد غيرتني هذه الجامعة... لم تغيرني وحدي، بل أراها غيرت كل من حولي...هناك من عرفته متدينًا متشددًا في أول أيامي هنا؛ صار اليوم ملحدًا مجاهرًا فخورًا... من تخلت عن حجابها "علشان تعيش شبابها"... ومن تخلت عن ملابسها الضيقة وارتدت إسدالاً... الانطباعات الأولى عن الأشخاص تدوم طويلاً، فليس من السهل أن تنسى كيف كان هذا أو ذاك عندما قابلته أول مرة وكيف صار الآن: أفكاره، ملابسه، لغته... كلنا تغيرنا... لكن الأهم ألا ننسى أصلنا، وأن نؤمن أننا قد تغيرنا حقًا "للأفضل"، والأفضل دائمًا مصطلح نسبي... ما هو أفضل لك ليس بالضرورة كذلك لغيرك.

علمتنى الجامعة كيف أتعلم بنظام الأمريكان، وفى الوقت نفسه لا أجد غضاضة في نفسي أن أنتقد سياستهم الخارجية، دون أن أتردد لحظة في قول أن "هذا أعجبني" و"ذاك لم يعجبني"... هل حاسبني أحد على ما قلته وما كتبته؟... لا... علمتني الجامعة الأمريكية حرية التعبير.

غيرني أصدقائي كذلك... حينما أرى أحدهم يضحي بوقت فراغه فلا يخرج مع رفاقه أو يقضي ليلته أمام التليفزيون أو يسافر مع أهله إلى الساحل؛ لأنه يريد أن ينظِّم حفلاً للأيتام... حين يُضطر أحدهم ألا يفطر مع أهله في رمضان لأنه مرتبط بتوزيع وجبات الإفطار على الفقراء بمصر القديمة... وحين أقابل من يصارع ويعمل ويجاهد من أجل فكرة يؤمن بها يريد أن يجعل منها واقعًا... وحين أصادق من يؤمن بنفسه وبأحلامه رغم كل التحديات وكل من يحاولون إقناعه بأنه مجرد طالب آخر... هؤلاء أكثر من غيروني وحركوا بي شيئا لم يكن ليتحرك بدونهم... الإيمان بفكرة هو الدافع الأول لأن تسعى من أجل هذه الفكرة.

لقد غيرتني الجامعة الأمريكية... لم أعد أرى العالم من وجهة نظر المتدين المنغلق الذي يصنف الناس على أساس أنهم "زينا" أو"كفار" ، ولم أعد أرى اليهود وحوشًا جبابرة يقضون نهارهم وليلهم في ابتكار وسائل جديدة لإبادة المسلمين... لم أر الأمريكان شعبًا بغيضًا يكره العرب كما كنت أتصور ، ولم يعاملني أحد الطلاب الأمريكان بعنصرية أو تكبر كما كنت أتخيل... أدركت أن الأفكار المسبقة هي أكبر خطأ يقع فيه الكثيرون... والتجربة هي المعيار الأول للحكم.

غيرتني الـــ **AUC**... لم أعد أحكم على البشر بتلك الأساسيات العرقية السخيفة التي نتربى عليها وتحشرها كتب المدارس في أدمغتنا ونلتهمها كل يوم في قنواتنا وصحفنا... صرت أفهم أن الفارق ما بين اليهودية والصهيونية هو نفس الفارق بين الإسلام والقاعدة... إذا ما قابلت هندوسيًا لن أتجنبه لأنه "كافر بيعبد البقر" لكني سأصافحه وأفهم أكثر عن فلسفته... لو صادقت شيعيًا سأنتهز أي فرصة لأتعرف أكثر بمذهبه... صرت أؤمن بأن اختلافاتنا نحن البشر موجودة كي تقربنا أكثر لا كي تفرقنا هنا وهناك ، وربما كان هذا هو التغيير الأعظم في طريقة تفكيرى... أن الله قد خلقنا جميعًا شعوبًا

وقبائل لنتعارف لا لنتعارك.

مواد عدة درستها بجامعتي... لكن تظل الاستفادة الكبرى التي حصلت عليها مصدرها الوحيد هو مئات الكتب التي أتاحتها لي مجانًا مكتبة الجامعة... قرأت كتبًا عدة أبدعها بشر من كل هذا العالم.

أريد أن أكتب وأبدع... بالتأكيد لستُ في مهارة أمبدوكليس وهو يكتب الشعر، ولا أفلاطون الذي كتب المحاورات، أو سقراط بأناشيده، ولم أكن قط بجنون أبيخاروموس في الموسيقى ولا بدقة أكزينيفانيس في التاريخ، ولا بحماسة أكزنوقراطيس في الهجائيات. لكني مثلهم جميعًا... أعشق الإبداع وأن أخلق عوالم جديدة لم تكن موجودة من قبل.

تظل متعة الكتابة بالنسبة لي هي أن تتحول الأفكار إلى مشاهد، أن تتجسد الأحلام إلى حروف، كلمات، ثم صفحات... وأن يقرأ الناس كل ذلك بانبهار حقيقي، وأن يستمتعوا بإبداعك وتصبح به الدنيا أجمل من الجنة.

حين أنتهي من كتابة قصة ما أشعر براحة نفسية شديدة...

وكأني كنت أحمل جبلاً من الكلمات والجُمل والأفكار على ظهري ونقلته إلى الورق... ربما ورثت هذا الشعور عن "لوكيوس أبوليوس" صاحب "الحمار الذهبي" أول رواية كُتبت في العالم على أسس روائية.

كل أحلامي ، كل أفكاري ، نمت وترعرعت معي في شقة بسيطة ومريحة في عمارة سكنية بأحد شوارع الدقي ولدت وتربيت فيها بين أبي وأمي... اعتدت حين أنظر من شباك غرفتي على شارعنا هادئًا نظيفًا دائمًا ، تحيط بجانبيه شجيرات جميلة تنقي هواءه... لكن في السنوات الأخيرة أصبح شارعنا يشبه كل شيء في مصر :... صخب لا يتوقف ، وباعة في كل مكان ، بل إن الأمر وصل مؤخرًا إلى حد أن شارعنا أصبح به مقهى شعبي وورشة ميكانيكي... وأصبح هناك خليط عجيب من الأصوات أسمعها حين أقرر أن أفتح شباك غرفتي العازل للصوت ، وألقي نظرة سريعة على شارعنا:

– "واحد شاي وشيشة".

– "ناولني مفتاح ١٠ ياد يا صبحي".

– "حمراااااااااااااااااااااا يا قوووووووطة".

- "مش تحاسب؟... إنت إيه أعمى؟... مبتعرفش تسوق؟".

لكني في أحيانٍ كثيرة أستمتع بكل هذا الصخب الذي ينهيه فورًا قرار إغلاقي لتلك النافذة والتي أصبحت تفصيلة مهمة في حياتي أفتحها حين أشعر ببعض الضيق والخنقة!

مريم عزيز نوح

القاهرة

◈ ◈ ◈

شوفت في المهنة دي كل أنواع الإهانة !

يشبه الممثل المصري "أحمد رمزي"... كان هذا هو أول ما خطر ببالي حين شاهدت "أشرف زكريا" لأول مرة... وسيم الملامح، خفيف الظل... لكن هناك في عينيه هذا الألم الذي لن يمكنني وصفه ببضع كلمات... فمن قال إن الكلمات قادرة على وصف كل شيء بالحياة؟

لن أنسَ أبدًا أول جُملة سمعتها من "أشرف زكريا" ، حين جلست أسمع حكايته مع مهنته... قال لي بكل تلقائية: (مش هي دي الشغلانة اللي كان نفسي أشتغلها)...

أشرف مدخن بشكل شرهٍ جدًا، لا يلبث أن ينتهي من سيجارة حتى يبدأ في الأخرى... نحيل الجسد، قمحي اللون، وجهه منحوت وكل تفصيلة فيه تصرخ قائلة : "أنا مصري"...

يعمل أشرف في مطعم "فطائر" بشارع القصر العيني... طلبت منه أن يكرِّر نفس الجملة مرة أخرى بحجة أنني لم أسمعها جيدًا... (مش هي دي الشغلانة اللي كان نفسي أشتغلها)...

قالها مرة أخرى بضغط أكبر على الحروف... حتى إنني شعرت أنه يريد أن يقول لي: (هل تريديني أن أقسم على ذلك؟).

يحب "السحلب" بدون شك ، فهو لم يفكِّر كثيرًا حين جاء القهوجي سائلاً : (تشربوا إيه يا حضرات ؟) ، بل أجاب على الفور: (سحلب يا ريس)... فقررت أن أطلب نفس الطلب في محاولة مني لأن أنتمي لأشرف أكثر.

في مقهى شعبي يعرفه كل صحفيي جريدة روز اليوسف... فهو قريب جدًا من مبنى المؤسسة بشارع القصر العيني... وعليها يجلس دائمًا أغلب العاملين بالمؤسسة العريقة...

طلبت من أشرف أن يشرح لي سبب جملته فانطلق في الإجابة وكأنه فارس وجد حصانًا ضالاً في قلب صحراء واسعة... يجري بحصانه بدون لجام... بدون اتفاق مسبق... وبكل هذه التلقائية في التعبير عن النفس:

- بسبب الشغلانة دي اتعرضت لإهانات عمرك ما تتخيليها، إهانات اتعرض لها من قبلي عبيد الأفلام الإسلامية اللي مثِّل فيها ماجدة وسميرة أحمد وأحمد مظهر وسميحة أيوب...

قبل ما أشتغل "دليفري" كنت شايفها شغلانة جميلة وراقية، قبل ما أقرب منها وأشوف سلبياتها وشكلها "القبيح"...

أبتسم من تعبير "أشرف" فقد ذكرني بالصدمة التي حلت على بعض معجبي مارلين مونرو حين علموا أن لديها في إحدى قدميها ستة أصابع (حقيقة) !

يضحك بصوتٍ عالٍ :

– أول مطعم اشتغلت فيه كان مطعم "أخر ساعة" بتاع الفول والطعمية... وفي يوم زبون من وسط البلد طلب أوردر من المطعم... ولما وصَّلت له الأوردر قال لي بكل تناكة : انزل اشتري لي علبة سجاير من الكشك اللي تحت!!... حسيت بإهانة شديدة جدًا ورفضت طلبه، وقلت له : ممكن تطلب الطلب ده من البواب مش مني !

يكمل أشرف وهو يتذكر :

– طبعًا الزبون ماعجبهوش ردي، واتصل بإدارة المطعم وقال لهم إني كلمته بطريقة غير لائقة، وهددهم بإنه حيعمل محضر في قسم الشرطة وإنه عايز بياناتي بالكامل...

ولَّما حكيت لمدير المطعم سبب مشكلة الزبون قال لي: (وفيها إيه لو كنت جبت له علبة سجاير؟ عادي يعني... على الأقل كان زمانك خدت "تبس" كويس !!).

وهنا قرَّر "أشرف" شيئًا ما:

- في اليوم الإسود ده قرَّرت أسيب الشغل، المدير اللي يفكر بالطريقة دي ومايصونش كرامة الموظف مايستحقش أشتغل معاه... ومارجعتش للمطعم ده بعد كده أبدًا...

- لكن كان يجب البحث عن عمل بأسرع وقت حتى تستمر الحياة...

بعد ما سبت الشغلانة دي بأسبوع واحد لقيت مطلوب "دليفري" في مكتبة بيع كتب شهيرة بالزمالك، المرتب كان كويس، بس للأسف طلبات الكتب كانت بتكون قليلة جدًا، يعني ساعات ماكنتش أخرج من المكتبة غير لطلب واحد في اليوم، وده خلاني أزهق، علشان مابحبش القعدة فترة طويلة بدون شغل، ولأن فرصة حصولي على بقشيش

من الزباين بقت معدومة تقريبًا... في المطعم كانت فرصة حصولي على بقشيش تقريبًا بتكون ٦ من كل ١٠ زبائن... لكن في المكتبة الوضع مختلف ، زبون واحد في اليوم ويا يدفع تبس يا ميدفعش !!

وسبت المكتبة بعد شهر واحد شغل فيها...

- وبعد كده يا أشرف ؟

- لقيت شغل في مطعم بيتزا... والفرع اللي اشتغلت فيه كان ماشي كويس ، كنا مسميينه "كينج" فروع الشركة كلها لأنه في منطقة مهمة.

- في شغلانة "الدليفري" بأشوف أمور عجيبة طول الوقت... خدي عندك مثلاً : رحت بأوردر لزبون، وبمجرد إني اتأخرت عليه خمس دقائق بس أخد مني الطلب وشتمني وشتم المطعم وقفل الباب في وشي... وطبعًا رفض يدفع الحساب...

مش عارف ليه الناس مبتتعاملش مع الدلفيري باحترام ؟... يتعجب أشرف ثم يكمل كلامه :

- في يوم رحت بطلب لست كبيرة وبعد ما استلمت الطلب وادتني تمنه قالت لي كل طيبة : "معلش يا بني ممكن تاخد معاك كيس الزبالة ده وترميه في الصندوق اللي على أول الشارع ؟".

وماعرفش ليه وافقت آخد الكيس... يمكن لأني حسيت إنها ست كبيرة وزي أمي...

لكن نفسيًا تأثر أشرف من هذا الموقف:

- وأنا بارمي الزبالة في الصندوق حسيت بإهانة شديدة... إزاي أقبل على نفسي أعمل كده؟... هل لمجرد إن الست دي ادتني جنيه ونصف بقشيش فكرتني خدامها ؟

- ومشاكل الزباين في الغالب بتكون تافهة بس أنا لازم أتحملها... اللي يرمي الأوردر في وشي لأنه "بارد" رغم إنه سخن جدًا... واللي يرفض الدفع لأني اتأخرت حتى لو كان التأخير مدته دقيقة واحدة... واللي يطلب طلب وبعدها يفتكر ميعاد مهم فيخرج من بيته من غير ما يتصل يلغي الطلب فأرجع بيه تاني المطعم شايل هم زعل المدير وزعيقه

وكمان من غير بقشيش...

– وكل يوم أقول لنفسي: أنا مش حرجع أشتغل دليفري تاني. لكن برضه... معرفش أي وسيلة تانية تأكلني عيش... ومقدرش أشتغل أي شغلانة تانية بدبلوم التجارة اللي معايا...

– وساعات بأهوِّن على نفسي، لما بأحاول أفكر نفسي بإن البلاوي اللي بشوفها وأنا دليفري هنا أحسن بكثير من مسح "الأحذية" زي "أحمد" زميلي اللي كان معايا في نفس المدرسة بس ملقاش شغل فقرر إنه يورث شغلانة والده ويمسح "أحذية" الناس.

– لكني رغم كل شيء... أضحك من كل قلبي حين أشاهد طفلا صغيرًا يمشي ماسكًا بيده اليمنى يد والده اليسرى... وبيسراه يمسك يد أمه اليمنى !

أشرف مصيبة !

- لا يتوقف "أشرف زكريا" عن الضحك... ولا يتوقف عن إلقاء النكات التي تتعلق بمهنة الدليفري... كلنا نحب العمل معه بسبب خفة دمه ولأنه يستطيع أن يخرجك من أي حالة سيئة عن طريق "النكت" التي لا يتوقف أبدًا عن سردها.

مرة واحد بيقول لمراته: "الدلفيري" بتاع البيتزا بيقول إنه "نام" مع كل نسوان العمارة اللي إحنا ساكنين فيها ما عدا واحدة بس... فنظرت له زوجته وفكرت قليلاً ثم قالت: أكيد الست الباردة اللي ساكنة في الدور التالت !

مقتطفات من حوار لمريم
مع بعض زملاء أشرف

- **القاعدة الرابعة :**

ممنوع منعًا باتًا تدخل شقة العميل... أخر حدودك هو نص متر قبل باب الشقة... دخولك هايسببلك مشاكل كتير... كتير قوي... وعلى فكرة إنت مش قد المشاكل دي!

الضيق والخنقة ساعداه على اتخاذ قراره

من محافظة أسيوط جاء للقاهرة منذ ٢٠ سنة يبحث عن مهنة في المدينة الكبيرة التي لا ترحم أحدًا ، جاء بزوجته الطفلة حينذاك ليهرب من قرية فرشوط التي أعلنتها له صريحة "رزقك هنا قليل يا فرج... روح دوَّر على رزق أوسع في حتة تانية". لَمّ "خلجاته" وهكذا فعلت زوجته وودَّع أهله وسافر إلى المجهول.

المسافة من أسيوط إلى القاهرة لا تتعدى ٦ ساعات لكنه يومها شعر أنها أكثر من ذلك بكثير ، وكأنه مهاجر إلى أخر بلاد المسلمين التي تحدَّث عنها جده كثيرًا... وحين وصل للقاهرة كان مندهشًا من كل شيء: السيارات الكثيرة التي فاقت –من وجهة نظره– عدد البشر... وملابس الفتيات التي تفضح أكثر مما تستر... وإعلانات الشوارع التي تضيء ليل القاهرة الذي ليست له نهاية، والذي لا يعني "النوم" مثلما تربى في قريته.

بملامحه الصعيدية، وجدعنته، وشاربه السميك الذي يساوي في قناعاته رجولته الحقيقية ، على اعتبار أن من يحلق شاربه

"مايبقاش راجل أبدًا" يواجه "فرج" المجتمع القاهري والذي استغرق منه سنوات ليست بقليلة ليندمج فيه.

- بقالي ١٥ سنة بشتغل وبنام هنا ، العمارة دي كل سكانها كوم وبيت الدكتور "عزيز نوح" كوم تاني خالص ، ناس محترمة محدش بيسمعلهم صوت ، ومراته ست أميرة ، كانت بتشتغل مدرسة رسم ، بنتهم "مريم" قمرة صغيرة ورثت الحلاوة عن أمها... مجننة شباب الشارع كله... لكن الحق لله البت أخر احترام بتمشي في الشارع زي القطر عمرها ما بصت ولا ضحكت لواد زي باقي البنات ، ما شاء الله عليها بتدرس في أخر سنة ف الجامعة الأمريكية وصاحباتها كلاتهم قمرات زيها وبيجولها بعربيات بشوات يعني ، يدينا ويديك كده. دونن عن كل بنات العمارة بحب "مريم" لله في لله ، ده البت من طيبتها بتقولي يا "عم فرج"... ده الأطفال في العمارة بتقولي يا فرج حاف ومش مقدرين إن عندي ٥٠ سنة قضيت منهم ٢٠ سنة بواب عمارتهم".

عم فرج البواب

- تسلم إيدك يا عم "فرج"...

أخذت منه جريدة الأهرام ثم أغلقت باب الشقة... هكذا تفعل "مريم" صباح كل يوم ، حين يصعد "فرج" بواب العمارة بالجرائد ، فهو يعلم جيدًا ما يقرأه كل ساكن.

تترك الجريدة على طاولة السفرة ثم تدخل عالمها...

في غرفتها الصغيرة المريحة جلست "مريم" بكل هذا الكم من الجمال الذي يصلح أن يتم تقسيمه على أكثر من فتاة وسيكون الأمر وقتها عادلاً جدًا ، كانت تحب النظر من شباك غرفتها للشارع الذي كان هادئًا للغاية ذات يوم ، حين تنظر من الشباك ترتفع بعض الأعين إليها ، في الغالب هي أعين بائع السوبر ماركت المقابل لعمارتها أو أعين شاب مراهق يسكن في العمارة المواجهة ، لا توجد فتاة تغضب من نظرات الإعجاب في أعين الشباب ، حقيقة لا يمكن إنكارها أبدًا ، ولم تشذ "مريم" عن القاعدة ، لكنها لم تعطِ قط أي اهتمام لأي شخص ، وربما يكون هذا هو سِرُّ تميزها وسط أي تجمع تكون فيه.

ثم أنها قرأت وعاشت بخيالها في أهم قصص الحب في العالم وأدركت أن الحب الحقيقي لن يعطيه لها أبدًا شاب رقيع يقف

في شرفة بيتهم بفانلة داخلية معتقدًا أنه جذاب ، أو عجوز مترهل يضع يده على عضوه حين يراها في الشارع متخيلاً أنه بذلك سيسحرها برجولته ، ولا حتى زميل محترم وليبرالي في الجامعة يتعامل معها على أنها إنسان مثله دون نظر للنوع لكن حين تعطيه ظهرها ينظر لها من الخلف فاتحًا فمه في بلاهة!.

"مريم تركز في دراستها" "مريم تحب دراستها" "مريم تحلم بمستقبل أفضل ككاتبة"... رددت هذه الكلمات بخاطرها وهي تشعر أنه كلما قرأ الإنسان أكثر كلما فهم هذا العالم أفضل وكلما زادت خبرته ، وابتعد أكثر عن تفاهات هذه الحياة. أغلقت شباك الغرفة وأمسكت بريموت المكيف لتجعله يعمل... وضعت سماعات تليفونها المحمول في أذنيها واختارت الاستماع لأغنية من أغنيات فريق "**Soap Kills**" (*) الذي عشقت أغنياته وموسيقاه. كانت متوترة قليلاً فهي تبحث بشغف عن

(*) الصابون يقتل (بالإنجليزية: Soap Kills) ، هي فرقة موسيقية غنائية لبنانية مستقلة. تشكلت في أكتوبر ١٩٩٧ على يد زيد حمدان وياسمين حمدان ، زيد وياسمين من مواليد بيروت في عام ١٩٧٦ ، وهم ليسوا أشقاء أو أقارب رغم تشابه الأسماء. الفريق يقوم بمزج موسيقى الإلكترونيك مع الأغنيات العربية التراثية والشهيرة ، بالإضافة لعمل أغان خاصة بالفريق.

فكرة تصلح كمشروع للتخرج في جامعتها، وهي مصرة على أن تكون الفكرة مختلفة... وإبداعية.

في التخشيبة حلفت لأسيب الشغلانة دي !

الناس لا تتوقف أبدًا عن الطعام... هذه هي الحكمة التي تعلمها "أحمد عزب" منذ أن قاد "الفيسبا" -منذ خمس سنوات- حاملاً في صندوقها الخلفي أول طلب يطير به إلى عميل لمطعم ماكدونالدز... حكمة أحمد هي حقيقة بيولوجية لا شك فيها، أخبرني عن كائن حي يعيش على كوكبنا ولا يحتاج لطعام وأنا مستعدة أن أعطيك جائزة قدرها مليون جنيه!

يشبه "أحمد عزب" صندوق الدنيا الذي تحدثتْ عنه كتب الهلال للأولاد والبنات كثيرًا... عقله مليء بالأفكار، وخبراته الحياتية كثيرة...

كنتُ قد طلبت بعض الطعام من ماكدونالدز ، وحين جاء طلبت منه أن يجلس معي قليلاً لنتحدث... ساعدني أنه لم يكن معه أي طلبات غير طلبي... في البداية كان متخوفًا وطلب مني أن أحصل في البداية على موافقة إدارة المطعم الذي يعمل به... لكني طمأنته حين أخبرته أنني سأغيِّر كل بياناته.

بسبب مهنته عاش "أحمد" في قسم شرطة الدقي ٤٨ ساعة... دون أي سبب سوى أنه كان يقوم بعمله:

- أخذت الطلب من المطعم وطرت به على عنوان العميل بشارع مصدق بالدقي... ركنت الفيسبا أمام العمارة ، وألقيت السلام على البواب ، وصعدت إلى الدور السادس شقة ٢٤ كما كان مسجلاً لدي بفاتورة الطلب... عندما ضغطت جرس الشقة فتح لي الباب شاب في الثلاثينيات...

. مساء الخير.

. أهلا.

. طلب حضرتك يا فندم.

. حسابك كام ؟

. ٩٨,٧٥

. طب حط الطلب على الترابيزة وهجيبلك الفلوس.

وأشار إلى ترابيزة بجانب الباب مباشرة...

دخلت خطوة واحدة لأضع الطعام على الترابيزة وهنا حدثت المصيبة...

قوة لا تقل عن ١٠ أفراد من رجال الشرطة دخلوا الشقة خلفي و...

. محدش يتحرك من مكانه!

وصوت آخر:

. فتش المكان يا أمين محمد!

من غرفة داخلية جاء صوت امرأة تصرخ... كانت عارية تمامًا ومعها شاب آخر كان عاريًا كذلك... وفي الصالة قبضوا على حوالي أربع شباب ومعهم فتاة وأمامهم مخدرات وخمور من كل صنف ولون...

لكن أنا ليس لي أي دخل بما يحدث ، أنا مجرد "دليفري" جاء بطلب لهذه الشقة الملعونة... كدت أن أبكي للضابط ليتفهم الموضوع لكنه كان حازمًا... صارمًا.

تم اقتيادي مع كل من كان في الشقة... كان المنظر مخجلاً فتاة وشاب عرايا تمامًا لا يسترهم سوى ملاءة سرير ، وبعض المخمورين... لن أنسى أبدًا بينما نحن على سلم العمارة والجميع "بيتفرج علينا" ، وإهانات من كل صنف ولون من

رجال الشرطة...

. على البوكس يا ولاد "......" !

. أي ابن "..........." هينطق منكم هياخد بالجزمة.

الكل يرى ما يحدث والعيون الملتهمة النفاذة... نزلنا على السلم من الدور السادس وحتى مدخل العمارة... خرجنا من باب العمارة تصحبنا زفة كاملة من البشر ، كلهم تجمعوا لمشاهدة هذا الفيلم المجاني المثير...

أخذونا جميعًا لقسم شرطة الدقي... وهو القسم الذي لم أدخله في حياتي إلا حين أردت عمل شهادة ميلاد بالكمبيوتر ، ولم تكن هذه الخدمة موجودة وقتها في قسم إمبابة الذي أتبعه...

– أنا مش معاهم... أنا الدلفيري بتاع مطعم ماكدونالدز... والنبي يا باشا اتصل لي بالمطعم!

– بس ياد يا بن ".........." !

– ارمي العيال دول كلهم في الحجز!

كان يوم خميس... وأخبرونا أننا سنظل في الحجز حتى يوم السبت لأن النيابة إجازة الجمعة!!

أول مرة أدخل تخشيبة في حياتي... وضع مهين حقًا... عند دخولي كانت المياه القذرة تغطي التخشيبة كلها، كانت هناك مشكلة في الحمام، جعلت المياه تغرق كل شيء... شخص ما في التخشيبة صرخ في الجميع... يلا ننضّف الحمام علشان نعرف نستعمله يا رجالة بدل الوساخة اللي إحنا قاعدين فيها دي !!

أنا الذي تخرجت في معهد السياحة والفنادق... ينتهي بي الأمر محبوسًا في قسم شرطة الدقي مع كل هذا العدد من البشر ووسط هذه الظروف القذرة ؟

أعطيت لأحد أمناء الشرطة عشرة جنيهات وطلبت منه أن يتصل برقم بيتنا ويخبر أبي بما حدث لي ويطلب منه أن يتصل بمطعم ماكدونالدز ويخبرهم باسمي وبأنني في قسم الشرطة... وتخيلت بعدها أن الدنيا ستنقلب وسأخرج على الفور... أليس مطعم ماكدونالدز هو مطعم أمريكي بالأساس؟

بعد ساعتين أخبرني أمين الشرطة أن عائلتي تقف أمام القسم... أول مرة أشعر باحتياجي لهم جميعًا... بالتأكيد يوجد الآن

بالخارج أبي وأمي وأخي "علي" وأختي الصغيرة "أميرة"... ولكن أين المطعم ؟...

قبل الفجر دخل عليّ أمين الشرطة بشنطة بلاستيك...
- أبوك باعت لك الأكل ده!

من أخبر أبي أن المحبوس في تخشيبة من الممكن أن يفكر بالأكل... أو بأي شيء غير الشعور بالخوف والقهر وبس؟

لم أكن شابًا "فافي" أو "خرع" قط بل على العكس كنت مثالاً دائمًا للرجولة... وفي الجيش الذي قضيت به سنتين من عمري لم أخف أو أخشَ من أي شيء... لكن في التخشيبة الأمر مختلف... تهمة تتعلق بالشرف والسمعة ولا تعرف ما الذي سيحدث لك وما مستقبل وجودك في هذا المكان... مغامرة ؟؟ لم أكن قط من عشاق مثل هذه المغامرات!

بعد عرضنا على النيابة تم الإفراج عني بعد أن أكد أصحاب الشقة أنني لم أكن موجودًا معهم وبعد أن شهد مدير المطعم أنني كنت في أوردر خاص وشهد البواب أيضًا بذلك...

المطعم خصم مني شهرًا كاملا بسبب أنني دخلت خطوة واحدة داخل الشقة... كانت تجربة سوداء لن أنساها أبدًا طول حياتي... في الحجز أقسمت ألا أعود لهذه المهنة مرة أخرى ما دمت قد تعرضت لهذا الموقف المؤلم... لكن على رأي أمي: "علقة تفوت ولا حد يموت" واللي ييجي في الريش بقشيش!

رجعت لشغلي مرة تانية لأن عليَّ أقساط وجمعيات لازم تتدفع شهريًا وربنا يكرم وأعرف أسدد الديون اللي عليا وبعدها مين عارف هل هسيب الفيسبا ولا لأ !

- مليش في السياسة وعمري ما قربت منها... بس حقيقي لما بسمع تصريحات المسئولين الحكوميين في مصر في التليفزيون المصري بحس إنهم غيرنا... همومهم غير همومنا... مشاكلهم غير مشاكلنا... حياتهم غير حياتنا.

- هل تعلمي يا "مريم" في يوم حلمت أني قمت بتوصيل طلب إلى عميل، وحين فتح لي الباب اكتشفت أن هذا العميل هو رئيس مصر شخصيًا!... آه والله... قلت له: إزيك يا سيادة الريس ؟ قال لي بابتسامته الشهيرة : أهلاً أهلاً بشباب مصر اللي زي الورد... قلت له حزينًا : لأ يا سيادة الريس إحنا مبقيناش زي الورد ، إحنا بقينا ورد دبلان ، مش لاقي ولا مية ولا شمس ولا هوا علشان يفتح تاني ، وعايشين في ظروف صعبة ، مش لاقيين شغل محترم ، ولا عارفين نعيش زي الناس... نظر لي بغضب قائلاً : إنت إزاي تكلم الرئيس بتاعك بالطريقة دي ؟!

وأغلق الباب في وجهي...

فنـــزلت السلم حزينا و"مش فاهم ليه الرئيس عمل كده" !

أحمد عزب

- **القاعدة الخامسة :**

لازم الأوردر يوصل للعميل في ميعاده مهما كانت الأسباب... الطريق كان زحمة... العنوان ماكنش واضح... الفيسبا عطلت... كلها حجج فارغة عمر ما العميل هيقتنع بيها !

وأنا واثقة أها ستجد فكرة مختلفة وإبداعية... هي ابنتي وأنا أعرفها أكثر من كل الناس ، وحتى أكثر من والدها الذي غضب حين أرادت "مريم" دراسة الإعلام... كان والدها يريدها أن تصبح نسخة منه ، لكنني رفضت ذلك ، ووقفت معها وأقنعت والدها أن يتركها تفعل ما تريد.

كنتُ أعمل مدرسة رسم لفترة طويلة قبل أن أقرِّر ترك العمل والتفرغ للمنْزل ولاحتياجات ابنتي الوحيدة وزوجي ، كيف أصبح مدرسة رسم في نظام تعليم لا يهتم بالفنون ولا يرى أبدًا أي أهمية لها كمادة دراسية ؟... التراكمات جعلتني أتوقف عن مهنتي ، حين قال لي مدير المدرسة أكثر من مرة أن ينْزل الطلبة لتنظيف فناء المدرسة بدلاً من حصة الرسم ورفضت... وحين كان يشتكي أغلب الطلاب أهم من أُسر فقيرة ولا يستطيعون شراء كراسات رسم وألوان فلوماستر... وحين يصبح راتبي لا يكفي حتى المواصلات... وحين يجبرني مدير المدرسة على أن أجعل الطلاب يرسمون حرب أكتوبر وبورتريه للرئيس المصري ليتم تعليقه في فناء المدرسة... حين يحدث كل ذلك وأكثر كان من الضروري ألا أفقد احترامي لنفسي ولموهبتي.

"مريم" ورثت أشياء كثيرة عني ، أهمها الشبه الكبير بيننا ، وحب الإبداع... منذ أن كانت طفلة وهي تحب الرسم والألوان وقراءة مجلات وقصص الأطفال ، ومنذ أن كان عمرها ١٤ سنة وهي لا تتوقف أبدًا عن الكتابة ، كتبت أكثر من مقال في إحدى المجلات الشبابية ونشرت لها جريدة الجمهورية قصة قصيرة حين كان عمرها ١٦ سنة.

حين علمت أنها تبحث عن فكرة تصلح كمشروع لتخرجها كنت أتابعها عن قرب ... أتفهم أنه ليس من السهل أن تجد فكرة جديدة تصلح للعرض ، وهي كانت تحتاج فكرة جديدة تثبت بها لنفسها ثم للجميع أنها متميزة ككاتبة.

فكرة جديدة... فكرة جديدة... فكرة جديدة.

تحتاج "مريم" الآن لأفكار تتميز بأكبر قدر من الطلاقة... تحتاج لفكرة إبداعية...

تمر الدقائق... تمر الساعات... تمر الأيام...

وما زالت "مريم" تبحث عن فكرة...

أم مريم

بحب أسمع إليسا في الشتاء!

– أصعب شيء يواجهنا في مهنة "الدليفري" هو فصل الشتاء.. نجري بالفيسبا في الشوارع ونواجه كل هذا البرد خصوصًا برد منتصف الليل، حين تشعر أنك لم تعد تشعر بأطرافك على الإطلاق، ومطلوب منك أن تسرع أكثر، وتتحدى كل هذا البرد، حتى لا يتأخر الطلب عن الزبون، الذي لا تهمه أبدًا مشاكلك مع الجو والأمطار المنهمرة في الشوارع، فقط يهمه أن ينتهي جوعه سريعًا!.

"محمد منصور" صوته حلو... وكان يحلم بأن يصبح مطربًا ذات يوم... قال لي عن ذلك :

– في يوم ذهبت للتقديم في شركة إنتاج طلبت مطربين من خلال إعلان في جريدة الأهرام. في الشركة قابلتني سكرتيرة جميلة وتتكلم إنجليزي عمال على بطال... قالت لي: يجب أن تملأ أبلكيشن في البداية وثمن الأبلكيشن ١٠٠ جنيه !

دفعت المائة جنيه وملأت الأبلكيشن، وعدوني أن يتصلوا بي

بعد أسبوع... لكن لم يحدث أي شيء... بعد شهر ذهبت إلى مقر الشركة فلم أجد أي أثر للشركة... أخبرني البواب أن أصحاب هذه الشركة أجروا المقر لمدة شهر واحد فقط... ولموا فلوس وخلعوا...بعد ذلك حرَّمت أقدِّم في أي شركة تطلب مني فلوس!

عدد كبير من زملائي عقدني... قالوا لي: إن الصوت وحده ليس كافيًا والأهم منه الشكل... وأنا شكلي زي ما حضرتك شايفة عادي جدًا ، مش تامر حسني ولا عمرو دياب... فكبرت دماغي من موضوع الغناء وقررت أشتغل دليفري !

كنا فى أواخر الشتا قبل اللى فات
زى اليومين دول عيشنا... مع بعض حكايات
أنا كنت لما أحب أتونس معاه
أنا كنت باخد بعضى وأروح له من سكات

تصدقي وتؤمني بايه ؟... أنا حبيت الشغلانة دي لما شوفت عمرو دياب في فيلم آيس كريم في جليم لما كان شغال موزع أفلام فيديو بالموتوسيكل... حبيت شكله وهو لابس الجاكت

الإسود اللي بلبس أنا زيه في الشتاء... ساعات وأنا بجري بالفيسبا في الشوارع بحس إني عمرو دياب لكن هو كان في الفيلم بيحب يسمع أغاني أجنبي لكن أنا بحب أسمع عربي ومليش في الأجنبي.

بجري في الشوارع وإليسا بتغني في ودني ليا أنا وبس... بعشق أغنية أواخر الشتا... وبحس إنها بتغنيها ليا أنا... أغنية مخصوص علشان العبد لله يعني...

والناس في عز البرد يجروا يستخبوا
وأنا كنت بجري وأخبي نفسي قوام في قلبه
ولحد لما الليل يليل ببقى جنبه
وأفضل في عز البرد وياه بالساعات

اتعودت على ظروف عمل صعبة جدًا... يعني مثلاً في الشتا الناس بتكنّ في بيوتها وتعمل حاجة واحدة بس: تاكل بدون توقف... وهنا يأتي دوري أنا... بعد تجهيز الطلب أضعه في صندوق الفيسبا وأضع سماعات تليفوني المحمول في أذني وأطير في الشوارع بتحدى كل الأمطار... وطبعًا معي إليسا!

- هناك فكرة عبقرية ينفذها كل شباب الدليفري في الشتاء: كلنا نلبس "كيس بلاستيك" أسود تحت ملابسنا، وهو ما يحمينا من البرد الشديد... هل تعرفين ذلك الكيس الكبير الذي يتم وضعه في سلة المهملات؟ نعم هو نفسه نأخذ واحدًا من المطعم ونرتديه تحت ملابسنا ونجري به في الشوارع.

- في مهنتنا لا يوجد مبرر للتأخير... حتى الظروف الجوية السيئة...

- في يوم كنت أسير في الشارع وكانت الأمطار في كل مكان... لم تتحمل الإطارات سرعتي... الفيسبا اتزحلقت مني على الأسفلت ووقعت وقعة رهيبة... لكن الحمد لله ربنا ستر لم يحدث لي أي شيء سوى خدوش في كل أنحاء جسمي!

- في الشركات الكبيرة... خصوصًا شركة أمريكانا التي أعمل بها لا يوجد أي أهمية للعامل... الأهم هو الزبون ثم الزبون ثم الزبون... حتى الخامات التي تتم بها صناعة الجواكت التي

تصرفها لنا الشركة تكون "زي الزفت" ولا نشعر بتدفئتها أبدًا... جواكيت رخيصة جدًا... وغير مسموح لنا أن نرتدي أي جواكت غيرها... ونعوض هذا الموضوع بملابس ثقيلة تحت الجاكت بالإضافة إلى كيس القمامة الذي حدثتك عنه!

- كل يوم أقول لنفسي لازم أسيب الشغلانة دي... لكن برجع أقول خلاص مبقاش ينفع... أنا اتعودت أكون حر زي الطير ومش هعرف ألاقي فيسبا تديني حرية وطيران غير في الشغلانة دي!

- وبعدين هي فين الشغلانة اللي حتوفر لي فرصة إني أسمع إليسا كل يوم ٨ ساعات ؟ أكيد مفيش!

- مقولتليش يا آنسة مريم... إنتي بتحبي إليسا ولا لأ ؟... اوعي تكوني مبتحبيهاش أزعل منك!

محمد صبري

- **القاعدة السادسة :**

علشان تعمّر في الشغلانة دي لازم تكون... محترم!

– سلسلة مطاعم جاد مساء الخير !

تقولها فتاة تحاول أن تكون رقيقة.

– مساء الخير... ممكن أطلب أوردر ؟

– تحت أمرك يا فندم... ممكن رقم التليفون ؟

يتم كل شيء بشكل أوتوماتيكي تام... يتصل العميل بالرقم المختصر للمطعم... يرد عليه متلقي طلبات "أوردر تيكر" مدرب على تحمل كل سخافات ومشاكل وتفاهات العملاء...

"اوعى في يوم تتنرفز على عميل... خليك هادي جدًا... والبس الوش الخشب"...

أول شيء يطلبه الأوردر تيكر هو رقم التليفون الخاص بالعميل... لو كان العميل قد طلب من نفس المطعم من قبل سيجد كل بياناته مسجلة في برنامج كمبيوتر خاص بمطاعم الوجبات السريعة... لكن يجب أن يتأكد الأوردر تيكر من البيانات في كل مرة... وفي النهاية :

– تحت أمرك يا فندم طلب حضرتك إيه ؟

– عايزة ساندوتش هامبرجر وسط كومبو والبيبسي دايت.

- تحجي أي حاجة تاني يا فندم؟

- لا مرسيه.

- حساب حضرتك ٣١ جنيه والطلب هيكون عند حضرتك خلال ٣٠ دقيقة... شكرًا لاتصالك بمطاعم جاد!

ينتظر الأوردر تيكر من العميل أن يغلق الخط وبعدها يأتيه اتصال من عميل آخر...

ولا يتوقف البشر عن طلب... الساندوتشات !

- نفسي أعرف مين اللي اخترع الساندوتش...

يقولها "محمد" لنفسه وهو يستلم من "السوبر فايزر" طلبًا مكونا من ساندوتش "هامبورجر" و"باكيت" بطاطس صغير الحجم وعلبة بيبسي دايت... ويتوجه بها إلى أحد شوارع الدقي...

لا يعرف "محمد" أبدًا "آيرل ساندوتش" الذي ولد عام ١٧١٨م لأبوين من الطبقة الراقية، لو كان يعلم لكان عرف إجابة سؤاله... دخل "آيرل ساندوتش" جامعة" كامبردج" لدراسة الخطابة، لكنه لم يفلح بها، فقد كان كل اهتمامه هو الطعام، كان يرى أن تقاليد المطبخ الإنجليزي معقدة، ويحلم بأسلوب طعام أبسط من ذلك، فقرَّر إجراء بعض التجارب في مطبخ الجامعة... ولذلك قرر سرقة أرغفة الخبز وقطع اللحم لإجراء تجاربه وكانت النتيجة أن طردته الجامعة.

بعد ذلك ترك ساندوتش إنجلترا كلها وسافر إلى السويد وهناك أمضى ثلاث سنوات يدرس عادات الأكل المختلفة، وسجَّل في مذكراته جملة رائعة يقول فيها: إنني سأبتكر شيئًا أهم من كل ما ابتكره الإنسان حتى الآن، إنه التبسيط وليس أي شيء آخر هو ما نحتاج إليه...

في عام ١٧٤١م قدَّم أول اختراع له في مجال الأطعمة يتكوّن من شريحة خبز عليها قطعة من لحم الديك الرومي ، ولكن النتيجة لم تكن مرضية ، فقام بتعديل الاكتشاف بأن وضع قطعة الخبز بين شريحتين من اللحم ، ولكن لم تكن النتيجة مرضية كذلك... وفي عام ١٧٥٠م قدم اختراعه العبقري الساندوتش الحالي قطعتين من الخبز بينهما قطعة جبن أو اللحم أو السمك ، وطارت شهرته حتى إن المفكر الفرنسي القدير "فوليت" استدعاه لمقابلته.

وبعد سنوات قليلة من هذا النجاح استدعته الملكة ليعدَّ طعامًا بسيطًا لها مع السفير الأسباني ، وقدَّم "ساندوتش" هذا الساندوتش العجيب في ذلك الوقت وزاد عليه رقائق الخس وبعض المتبلات ، وسعدت الملكة للغاية وضيفها.

عندما بلغ ساندوتش عامة الخامس والستين ابتدع الهامبرجر وذاع صيته في الآفاق ، وأصبح شخصية شهيرة للغاية في المجتمع الإنجليزي ، ويزوره المفكرون والأدباء.

لم يكن "محمد" يعلم أي شيء عن هذه القصة... لكنه طار بطلبه إلى العنوان في سباق رهيب مع السيارات الملاكي والميكروباص وأتوبيس النقل العام والتاكسي... الكل يسير على أسفلت هذا الوطن بدون نظام أو رقيب... والشعار لا يتغير أبدًا: "اللي يحصلني يكسرني" !

تحت أمرك يا فندم!

- في مهنتي اعتدت أن أقابل كل أصناف البشر : الكريم والبخيل... الذي يحترم الناس والذي يعاملهم بقلة ذوق... الهادىء والعصبي... لكنهم يشتركون جميعًا في انتظاري جائعين... فأنا فتى توصيل الطعام للمنازل حيث الجوعى دائمًا في انتظاري... واعتدت كذلك في مهنتي أن أقابل جميع العملاء بابتسامة لطيفة حتى لو أهانني أحدهم بسبب تأخري لدقائق معدودة.

- حين خرجت من فرع المطعم بشارع "مصدق" بطلب عبارة عن "ساندوتش هامبرجر" وسط كومبو والبيبسي دايت أمسكت "الشيك" ونظرت للعنوان ١٤ شارع.......... الدور الرابع واسم العميل "عزيز نوح"... تذكرت هذا العنوان، فقد ذهبت بأكثر من أوردر لنفس هذا المنْزل من قبل... دائمًا تفتح لي الباب فتاة جميلة جدًا، والدليفري لا ينسى أبدًا العميل الذي يدفع بقشيشا جيدًا... لذلك طرت

بالطلب لأصل في موعدي وبدون تأخير.

- على بوابة العمارة وقفت أستمع لأسئلة بواب العمارة المكررة والتي أحفظها جيدًا "طالع فين يا بابشمهندس ؟"... "الطلب باسم مين ؟"... "أيوه في الدور التالت"... "الأسانزير عطلان اطلع على رجليك"... ماذا يظن هذا الرجل نفسه ؟ هو بواب عمارة وليس مسئول أمن على بوابة المخابرات المصرية! أتمنى لو أخبره بهذا الكلام ذات يوم لكني حقيقي "مصدع" ومش "رايق له بروح أمه" !

- حين فتحت لي هذه الفتاة الجميلة الباب قلت لها: مساء الخير... لم ترد عليّ وكانت تنظر لي بطريقة غريبة... تخيلت أنها غاضبة من شيء ما... كانت ترتدي "تريننج سوت" لبني اللون جعلها رائعة... ابتسمت الفتاة أخيرًا كاشفة عن صف لولي يقال عنه "أسنان" وسألتني سؤالاً لم أتوقعه قط :

. عايزة رقم موبايلك لو سمحت... هو ينفع نتقابل النهاردة بعد ما "شفتك" يخلص ؟!

- لا أنكر أبدًا أني شعرت بصدمة... (آه عيونها برجلتني... نورها ساطع زغللتني)... المشهد ببساطة كان كالتالي : (بنت جميلة وزي القمر بتطلب رقم تليفوني، أكيد عجبتها.. اتأكدت وقتها إني فعلاً شكل عمرو دياب وعندي كاريزما زيه... البنت أول ما شافتني مقدرتش تمسك نفسها" !

- لا أعرف لماذا أعطيتها رقم هاتفي المحمول دون أن أسألها لماذا تريد مقابلتي. فقط وجدت نفسي أقول لها:

. تحت أمرك يا فندم!

أنا مش... متحرش!

"محمد عينه بتلمع"... شاب أسمر بسيط... تشعر أنك قابلته عشرات المرات قبل ذلك... وهو مثلك تمامًا لديه أحلام بحجم السماء... ولا يحب أبدًا أن يستغله أي شخص مهما كان الثمن.

بالتأكيد حين ولد "محمد" علمت أمه أن لديه عينين كبيرتين تلمعان، فحجم عيون الإنسان لا يتغير منذ الولادة، فالعيون لا تنمو؛ بعكس الأنف والأذن مثلاً وباقي الأعضاء.

كانت الساعة الخامسة والنصف مساءً، واليوم كان الجمعة... كنا قد اتفقنا على المقابلة أمام مبنى ماسبيرو، وبعدها تمشينا معًا على كوبري قصر النيل.

أول ما لاحظته حين رأيته هو "لمعان عينيه"... نعم... لمعة عينيه مميزة إلى حد كبير... ربما هي نفس نظرة عيون الممثل "آسر ياسين" في فيلم "رسائل البحر" رائعة "داوود عبد السيد".

أخبرني محمد أنه جرَّب العمل في كل شيء قبل أن يستقر في مهنة توصيل الطلبات للمنازل...

- وأنا في ابتدائي أرسلتني أمي للعمل عند ميكانيكي ورشته في نفس المنطقة التي أعمل بها... بعد انتهائي من المدرسة أعود إلى البيت للغداء ثم أذهب فورًا إلى الورشة... تعلمت مع "الأسطى علي" أشياء كثيرة أولها قيادة السيارات ، كنت أصغر حد يسوق عربيات في منطقتنا كلها...

لكن أم محمد قررت أن تنقل ابنها إلى عمل جديد... إلى خبرة جديدة :

- تركت الورشة بعد أن ضربني الأسطى علي بمفتاح ٩ وفتح دماغي... لحد يومنا هذا ما زال أثر الجرح في رأسي... بصي كده ، شايفة العلامة دي ؟... أيوه الحتة اللي مفيهاش شعر دي... أقسمت أمي يومها ألا أعود للورشة مرة أخرى.

- بعد ذلك عملت مع "الأسطى حاتم" سائق ميكروباص كان يسكن بالقرب من بيتنا ، كنت "تبَّاع" ألِّم الأجرة من الركاب على خط إمبابة كوبري الخشب... عملت مع الأسطى حاتم فترة طويلة ومعه تعلمت "الدردحة" وإزاي أكون "مخلص" !

- وأنا في ثانوي صنايع قررت أتعلم قيادة "الفيسبا"... لا أعرف السبب ، سبحان الله... لم أكن أعلم قط أنها ستكون قدري...

وصلنا إلى نهاية كوبري قصر النيل... اقترحت على محمد أن ندخل حديقة الحرية لنكمل حوارنا لو كان تعب من السير على قدميه... لكنه كان مستمتعًا بالسير وقررنا أن نكمل ناحية الدقي...

"محمد" يحرك يديه كثيرًا أثناء الكلام... حتى لتشعر أنه يتحدث بيديه... وليس بفمه:

- بعد انتهائي من الجيش خرجت لأجد كل حاجة في مصر واقفة... كان لي أصحاب متخرجون من كليات عالية جدًا

ومحدش منهم لاقي شغل... قولت يا نهار إسود بقى الناس دول المتعلمين تعليم عالي مش لاقيين شغل أمال أنا هعمل إيه؟

- سنة ٢٠٠٢ كنت ماشي في شارع جامعة الدول... لقيت محل قدورة بتاع السمك حاطط إعلان على باب المحل مكتوب فيه مطلوب طيار يجيد قيادة الفيسبا... دخلت أسأل على الشروط والمرتب وكده... لقيت عايزين رخصة وشهادة جيش وصورة البطاقة... تاني يوم رحت عملت رخصة وقدمت كل الورق واستلمت الشغل من أول الشهر اللي بعده...

- المشرف كان اسمه "ماجد عبد السميع" كان راجل زي العسل... عرفني كل شوارع وطرق المهندسين والدقي وميدان لبنان... الشغل في محل قدورة كان زي العسل... الناس مبتبطلش أكل سمك أبدًا...

يضحك محمد بصوت عالٍ وهو يكمل قائلاً :

- وخصوصًا يوم الخميس...

- أول بقشيش خدته في حياتي كان من زبون ساكن في شارع سوريا... كان حسابه ٢٦ جنيه ، راح مديني ٣٠ وقالي شكرًا وقفل الباب... نزلت فرحان قوي قولت لنفسي ده أنا لو كل زبون اداني المبلغ ده بقشيش يبقى خلاص أنا عديت الفقر... لكن بمرور الأيام اكتشفت إن في زباين "معفنين"! ممكن ميدفعوش بقشيش أساسًا... وفي زباين بتدفع ربع جنيه بقشيش... آه والله !...

- أنا فاكر مرة كان في زبون حسابه ٤٠,٨٥ بعد ما اداني ٤١ جنيه طلب مني الباقي ومكنش معايا ١٥ قرش قالي انزل فك وهاتلي الباقي!

كنا قد وصلنا إلى الكوبري الفاصل بين دار الأوبرا المصرية وبين قسم الدقي... توقفنا قليلاً ننظر لنهر النيل... كان هناك شخص ما يصطاد بجانبنا... نظر "محمد" للصنارة وقال باسمًا :

- البقشيش عامل بالظبط زي الصنارة بترميها في البحر ومبتعرفيش هيطلع في صنارتك إيه... كل أوردر كنت باخده من المطعم كان بالنسبالي صنارة برميها في البحر ومبعرفش الرزق اللي ربنا هيبعتهولي إيه...

- أنا شوفت بلاوي سودة في شغلتي دي... وأول بلوى كانت بعد بداية شغلي في مجال الدليفري بسنة كاملة... في اليوم ده استلمت أوردر من المطعم وذهبت به إلى عنوان العميل... فتحت لي الباب طفلة لا يتعدى عمرها ٨ سنوات... أعطيتها الأوردر وانتظرت أن تأتيني بالحساب لكنها أغلقت الباب في وجهي... طرقت الباب مرة أخرى ففتحت لي: "الحساب يا أمورة"... "أنا مش معايا فلوس... أصل بابا وماما مش موجودين"... لم أتعجب فقد اعتدت على أطفال يطلبون أوردر بأنفسهم حتى لو لم يكن أهلهم في البيت، أطفال المستويات العالية بيبقى مخهم نضيف وأهاليهم مبتخفش عليهم.

- أخبرت الطفلة أنه يجب أن أحصل على ثمن الطلب... فطلبت مني أن أنتظر والدها: "ماما قالتلي إنها مش هتتأخر"... وقفت قليلاً مع الطفلة... بعد حوالي ربع ساعة وصلت أم الطفلة... وحين شاهدتني، أخذت تصرخ في وجهي "إنت إزاي تتحرش ببنتي يا سافل" ؟!

- شعرت برعب خصوصًا وأنا أشاهد الأم تصرخ، والجيران تتجمع، وصعد البواب، واتصل أحدهم بشرطة النجدة... كل ذلك تم بشكل سريع جدًا... كنت مصدومًا ولم أستطع الكلام.

- أقسمت لهم جميعًا أني لم أفعل أي شيء وأني فقط انتظرت الأم لتحاسب على الطلب... لكن صراخ الأم وبكاء الطفلة منع الجميع من أن يصدقوني.

- القاضي حكم عليا بسنتين سجن! والتهمة تحرش جنسي بطفلة... ومحدش كان مصدق إني مظلوم!

- بعد خروجي من السجن معرفتش أشتغل بسهولة... اتبهدلت لحد ما عرفت أشتغل في المطعم اللي أنا فيه حاليًا... مطعم شعبي بس شغال كويس... مبقاش ينفع أشتغل في المطاعم الكبيرة زي أمريكانا ومؤمن وماكدونالدز لأنهم بيطلبوا فيش وتشبيه، وإخلاء طرف من المطعم اللي كنت شغال فيه قبل ما أجيلهم.

لكني فعلاً مظلوم!

محمد مش مظلوم

يقول مدير محمد السابق:

- "محمد مش مظلوم"... هو فعلاً كان معروف بإنه مش طبيعي... ودي مش أول مرة تجيلنا شكوى تتعلق بتحرشه بأطفال... مرة حصلت مشكلة كبيرة بسببه والمطعم اتدخل وحلها... كان بيودي طلب لعميل وهو نازل من العمارة قابلته بنت البواب على السلم ؛ اتحرش بيها... البنت صرخت وأبوها طلع يشوف في إيه... واتضرب يومها علقة مخدهاش حمار في مطلع.

- كان معروف في المطعم بإنه بيحب البنات الصغيرة، وحذرته أكتر من مرة إنه يبعد تمامًا عن "الكيدز كورنر" اللي في المطعم ، كان بيقف عند منطقة ألعاب الأطفال ويصوّر الأطفال بالموبايل بتاعه!

- القضية اللي اتحبس بسببها كانت كالتالي: الأم وصلت البيت لقيته قاعد على رُكبه أدام شقة العميل وحاضن

الطفلة بطريقة غريبة، والبنت قالت بتلقائية إنه كان بيبوسها في شفايفها وبيحط صوابعه في مناطق حساسة!

- علشان كده رفضنا كإدارة المطعم نقف معاه، حتى زملاؤه رفضوا يزوروه في السجن، "محمد" ماكنش محترم، وخد جزاءه... ومستحيل يرجع الشغل تاني!

كريم المعلم

- **القاعدة السابعة :**

الدليفري مش بس مهنة... دي كمان لعبة... واللي مش قد اللعبة مايلعبهاش !

بدلة ، وكرافتة ، وبنك !

منذ عشرات السنين اشتهر هذا الرجل كبائع جوَّال يبيع في حواري نابولي الإيطالية الفقيرة نوعًا خاصًا من الخبز المفرود والمزخرف بصورة جميلة... وحين سمعت الملكة مارجريتا عن هذا البائع وخبزه المميز الذي كان يسمِّيه الفقراء "بيتزا" ؛ قررت أن تجرِّب ، فأعجبها طعمه وشكله ، وطلبت من رئيس الطُهاة أن يصنع لها هذا الخبز فأخذ يصنعه لها ، وما لبث أن أضاف إليه شيئًا من صلصة الطماطم فأعجبها أكثر وأكثر... وكان أن أضاف إليه شيئًا من جبنة الموزريلا والريحان الأخضر ممثلاً بذلك ألوان العلم الإيطالي: الأحمر من صلصة الطماطم والأبيض من الجبن والأخضر من الريحان.

وسُمِّي ذلك الخبز باسم الملكة "مارجريتا"... وهكذا اشتهر هذا النوع من البيتزا بهذا الاسم إلى يومنا هذا.

وهكذا أهدت إيطاليا للعالم هذا الاختراع الذي يحقِّق مكاسب تصل للمليارات سنويًا لسلاسل المطاعم التي انتشرت حول العالم بمسميات مختلفة : "بيتزا هت" ، "بيتزا كينج" ، "دومينوز بيتزا" ، "ليتل سيزر"... وغيرهم الكثير...

لم يهتم "كريم" قط بمعرفة هذه المعلومات حين قرَّر أن يعمل "دليفري" في بيتزا هت.

جلستُ مع "كريم" لأول مرة في حياتي على مقهى في وسط البلد...

شاب مصري بسيط ، يرتدي نظارة طبية ، وهو ما جعلني أتعجب ، كنت أظن أن النظر مهم لمهنة الطيار... لكن كريم أخبرني أن الأهم من ذلك هو القلب الجامد وعدم الخوف من السرعة في شوارع القاهرة بزحامها الذي لا يتوقف والمستوى السيء لسائقي السيارات...

ملامح كريم هادئة جدًا ، يشبه الممثل المصري أحمد زكي إلى حد كبير... تشعر برجولة وجدعنة حين تتحدث معه...

أخبرني أنه ولد وتربى في السيدة زينب قبل أن تنتقل أسرته إلى العباسية...

- تخرجت في كلية التجارة جامعة عين شمس لكني أساسًا لست خريج ثانوية عامة بل دبلوم تجارة، وبعدها درست في معهد تجاري لمدة سنتين حصلت من خلاله على تقدير عالٍ فانتقلت للصف الثاني بكلية التجارة بعد عمل امتحان معادلة...

- كنت أتصوَّر أن دخولي الجامعة سيوفِّر لي حالة من التصالح مع المستقبل، خاصة وأنني من أسرة متوسطة الحال... منذ مرحلة الدراسة الثانوية وأنا أعمل بجانب الدراسة... عملت في كل ما تتخيله من مهن: عملت كمضيف في أحد المطاعم لكني تركته حين وجدت أن هناك تجاوزات تحدث بين زبائن المطعم قد تصل إلى حد حصولي على لقب "قرني"، تركت المطعم والبقشيش الكبير وقتها لأني أحببت رجولتي أكثر...

يقترب منا عامل المقهى فيتوقف كريم عن الكلام:

تشربوا إيه يا حضرات؟

طلبت شايًا، بينما طلب كريم كوبًا من الينسون وشيشة معسل وعاد للكلام مجددًا:

- تعرفي إن اسم كريم كان بيعملي مشاكل كتير؟،كان زملائي في المدرسة يسخرون من اسمي طول الوقت، كانوا شايفين إنه اسم فرافيري، وكان في ناس تقولي لما تبقى جد أحفادك هيقولولك: يا جدو كريم؟ ويضحكون!

عمل كريم في مهنة "طيار" في مطعم بيتزا هت منذ خمس سنوات... قال لي عن ذلك:

- منذ طفولتي وأنا أعشق قيادة الموتسيكلات، تعلمتها منذ أن كان عمري ١٦ سنة، كنت أقوم بتأجير موتوسيكل من "سيد شمشون" الذي تخصص في ذلك منذ وعيت على الدنيا... "شمشون" كان "عجلاتي" في الأساس، لكنه كان دائم التطوير، حين ظهرت ألعاب الفيديو ذات الكابينة كان أول من أدخلها إلى العباسية، وبعد ذلك حوَّل المحل لصالة بلياردو ثم إنترنت كافيه... لكن كانت هناك دائمًا مجموعة من الموتوسيكلات ثابتة طول الوقت بجانب كل أنشطته...

- أخذت أول موتوسيكل وتعلمت القيادة وأصبحت أشهر قائد موتوسيكل في المنطقة...

- عملت في مهن كثيرة ، حتى قرأت إعلانًا في أهرام الجمعة يطلب سائق فيسبا لسلسلة مطاعم أمريكانا... فقدمت أوراقي وتم قبولي.

- أول مرة لم تكن مشجعة قط... أخذت الطلب وذهبت به إلى عنوان ما ، أعطيت الطلب للعميل ، فأغلق الباب في وجهي ، شعرت بإهانة شديدة... ماذا سيحدث لو عاملني باحترام؟... غير مسموح لنا أن نشتكي لأن مبدأ الشركة التي أعمل بها هو "العميل دائمًا على حق".

- كنت أخرج من المطعم دائمًا متوجهًا إلى العنوان... كلما كنت أسرع كما رضي العميل عني وأعطاني بقشيشًا...

- في ميدان الثورة بالمهندسين طلب أحدهم أوردر ، وعندما ذهبت دققت الجرس ففتح لي الباب النجم "عادل إمام"... كنت سعيدًا جدًا لأنني أراه لأول مرة في حياتي على الحقيقة... حين حاسبني أعطاني الفلوس بالظبط دون أي بقشيش، وهو ما جعلني أستغرب !.

- أما أغرب حكاية حدثت لي فقد كانت منذ سنة ، حين ذهبت بطلب إلى عميل ، وحين فتح لي الباب اكتشفت أنه الدكتور عادل الذي كان يدرِّس لي في الجامعة... كانت مفاجأة كبيرة حين شاهدت وجهه... في البداية شعرت بإحراج شديد ، لكن حين دعاني لشقته تحدَّث معي عن ما يحدث في مصر وعن نظام التعليم الفشنك الذي جعل شخصًا متفوقًا مثلي يعمل في وظيفة بعيدة كل البُعد عن مجال دراسته.

- أعلم أن الشغل مش عيب ، لكن هناك دائمًا ذلك الهاجس الذي يأتيني : لماذا لم أوفَّق قط في العمل كمحاسب في بنك مثلما تمنيت دائمًا ؟

- حين أعود إلى البيت لا أستطيع النوم بسهولة... الكوابيس لا تتوقف أبدًا ودائمًا ما أخاف من المستقبل.

- كل مطعم له "زون" خاص به... "زون" تعني بلغة المطاعم خريطة شوارع خاصة بكل مطعم ، يعني ماينفعش مطعم في الزمالك يودي أوردر لعميل في مدينة نصر ، لازم العميل

يكون في نفس "الزون" علشان الأكل يفضل سخن... لكن في مناطق ممنوع علينا دخولها زي المناطق الشعبية، يعني مثلاً كل المطاعم اللي في المهندسين ممنوع توصل طلبات لعملاء في بولاق الدكرور أو أرض اللواء أو إمبابة، رغم قُرب المناطق دي من المهندسين...أنا ماكنتش عارف السبب في الأول، ولّما سألت إدارة المطعم قالوا لي إن المناطق الشعبية خطر، ممكن الدليفري ينضرب هناك أو يتسرق... كمان في الفترات اللي فيها مشاكل بين فلسطين وإسرائيل زي الانتفاضات والكلام ده الناس مش بتفصل وممكن يموتوا الدليفري لمجرد إنه بيشتغل في سلسلة مطاعم أمريكية!!.

– حقيقي هما مش فاهمين حاجة... أنا ساكن في منطقة شعبية وعمري ما شفت سكان منطقتي مهتمين غير بأكل عيشهم، هيزعلوا على فلسطين وهما مش لاقيين ياكلوا؟

– كمان المناطق الشعبية أمان وناسها أجدع ناس... طب وربنا ناسها أنضف من سكان المناطق الراقية القيحة اللي مابيدفعوش بقشيش وبيحاسبوني بالسحتوت!

عـامر خليل

- **القاعدة الثامنة :**

مفيش زبون مبيحبش يتقال له يا "باشا"!

وكأن "مريم" جاءت من عالم آخر غير باقي البنات...
مختلفة هي حتى في أفكارها...
ومن رأى ليس كمن سمع !

يوم ١٧ إبريل ٢٠٠٩ الساعة الخامسة و٢٥ دقيقة دقَّ جرس الباب ، كنت وقتها أجلس أمام التليفزيون أشاهد فيلم "دعاء الكروان" على شاشة روتانا زمان، بينما كانت ابنتي "مريم" في غرفتها تقرأ كتابًا.

حين سمعت صوت جرس الباب خرجت "مريم" من غرفتها واقتربت من الباب لتفتحه... بالتأكيد هذا هو "الدليفري" حاملاً لها الطعام الذي طلبته منذ أكثر من نصف ساعة.

فتحت "مريم" الباب وتسمَّرتْ لبرهة من الزمن ، وتبادلتْ النظرات بين فتى توصيل الطلبات للمنازل وبيني، لم أفهم وقتها ما الذي يحدث ، لكني عندما نظرت لعينيها وجدتها تنظر للدليفري قليلا ثم تبتسم... تعجبت حين قالت له :
- عايزة رقم موبايلك لو سمحت... هو ينفع نتقابل النهاردة بعد ما "شفتك" يخلص؟!

لحظتها وجدت في عيني مريم ابتسامة أرخميدس حين اكتشف قانون طفو الأجسام داخل المياه.

أم مريم

ما بحبش التناكة !

(في هذه المهنة نتعرف بأسرار كثيرة تتعلق بنوع من المصريين لم أكن أتخيل قط أنه موجود بحياتنا ، الناس اللي "التناكة" أسلوب حياهم) !.

كانت هذه أول جملة أخبرني بها "عامر" حين طلبت منه أن يحدِّثني عن حكاياته مع مهنة الدليفري.

ببشرة أعطتها أشعة الشمس تلك السُمرة التي غنَّى لها ذات يوم أحدهم "السمار نص الجمال" ، وبأنف كبير إلى حد ما ، وجبهة عريضة، قال لي "عامر" ضاحكًا :

– أنا اشتغلت دليفري بالوراثة...

يصمت لثوانٍ ثم يكمل:

– أخي كان يعمل في هذه الوظيفة منذ كنت أنا طالبًا في الثانوي التجاري... كانت أمي سعيدة جدًا بمهنته ، فقد استطاع أن يكوِّن نفسه ويساعد في مصاريف البيت بعد وفاة أبي في حادث حريق في مخبز عيش بلدي كان يعمل به.

أخي كان يشتري ملابس جديدة لي وله... وحين كنت "أتزنق" في نقود لم يكن يبخل عليَّ قط بالمساعدة...

- طلبتُ منه أن يعلِّمني قيادة الفيسبا فلم يرفض... متعة شديدة أن تجد نفسك تجري في الشوارع ولا يلحق بك أي شيء... تعلمت القيادة بسرعة شديدة... في الحقيقة لم يكن في نيتي وقتها أن أعمل في هذه المهنة، لكني كنت معجبًا بأخي بشكل كبير، الجاكيت الأسود وشعار بيتزا هت عليه، والكاب الجميل...

- بعد حصولي على دبلوم تجارة وجدت نفسي أقف حائرًا بمفترق الطُرق وكأن مستقبلي في يدي كقطعة صلصال غير واضحة المعالم... والمقهى الملاصق ببيتي يشهد على عدد سكان شارعنا الذين ماتوا إكلينيكيًا بفعل البطالة...

- أصرَّت أمي أن أكمل تعليمي، فقدَّمتُ أوراقي في معهد خاص قرأت إعلانًا عنه في جريدة الأهرام، يعدني بمستقبل مميز كضابط لا سلكي على البواخر وفي شركات البترول... ولن أنسى أبدًا الصورة المصاحبة للإعلان وكانت لشاب

يرتدي بدلة ضابط وتحتها مكتوب "أحمد عبد الفتاح" ضابط لاسلكي بشركة مصر للطيران وخريج المعهد.

- درست في المعهد لمدة سنتين ، وفي النهاية اكتشفت المصيبة الكبرى... المعهد غير معترف به رسميًا ، ولا يقلِّل سنوات التجنيد ، ووظيفة "ضابط اللا سلكي" كانت مجرد وهم.

- إدارة التجنيد تعاملت معي على أني خريج دبلوم تجارة... مؤهل متوسط ، يعني سنتين من "البهدلة" التي لا حدود لها.

- بعد انتهائي من التجنيد بدأت أفكِّر في العمل والمستقبل... الشركة التي يعمل بها أخي ترفض توظيف الأقارب ، لكنه يعرف أصدقاء له في مطاعم أخرى ، فساعدني على الالتحاق بمطعم "ماكدونالدز"... وبالفعل استلمت العمل.

- فهمت "الصنعة" بسرعة كبيرة ، وعرفت سر "شويبس" الذي سيفتح لي أبواب البقشيش لدى الزبائن : ابتسامة عريضة ومجاملات من نوعية "تحت أمرك يا سيادة الباشا" كلها حركات الهدف منها أن يشعر العميل أنه فوق في

السماء وأنا تحت الأرض...

- لكني أتعرض لأشياء غريبة في مهنتي... ذات يوم "طرت" بطلب إلى عميل في شارع عباس العقاد... حين فتح لي لم أرتح له ولنظراته... عارفة لما تحسي إن واحد فاتح الباب ومنتظرك مخصوص علشان يشتمك ويهينك... سمعت منه أغرب كوكتيل من الشتائم لي وللمطعم... رفض أن يأخذ الطلب بحجة أني تأخرت... حاولت أن أقنعه أنني لم أتأخر لكنه لم يقتنع... أنا طالب الأوردر من أكتر من ساعة يا بني آدم... "حضرتك تاريخ الطلب مكتوب على الشيك... حضرتك طلبت الأوردر من نص ساعة بالظبط"... "الشيك ده تمسح بيه "..........." يلا امشي من هنا أنا هأقفلكم المطعم ده!".

- ليست هذه أول مرة يحدث لي هذا الموقف... قابلت عددًا غير قليل من الرجال يحاولون إظهار رجولتهم أمام زوجاتهم على حساب الدليفري الغلبان!.

- المرة الوحيدة التي قررت فيها اتخاذ موقف مما يحدث كانت مع عميل في المعادي... كان المطعم وقتها قد أعلن عن عرض خاص عند شرائك وجبة معينة تحصل على كُرسي بحر هدية، يشبه العوامة وحجمه كبير ويحتاج للنفخ... العميل طلب مني أن "أنفخ" له الكرسي... أخبرته أن الأفضل أن يأخذ الكرسي إلى أي بنْزينة وينفخه هناك، الكرسي حجمه كبير ولا يمكنني نفخه... هاج وماج : "طب مش واخد الطلب غير لو نفختلي الكرسي" !... بعناد شديد قلت له: "حضرتك حُر لو مش عايز الأوردر هأرجع به المطعم"!.
أغلق الباب في وجهي وهو يهدد ويتوعد إنه حيأذيني...

- حين عدت للمطعم وجدت المدير في انتظاري... حكيت له ما حدث لي... لكن إدارة المطعم حولتني للتحقيق لأني "تسببت في مشكلة لعميل من عملاء المطعم" لأن البيه كان واصل وله علاقات...

- فصلوني من المطعم في رسالة واضحة وصريحة "ماينفعش ترفض طلب لعميل"...

- بحثت عن مطعم جديد بعد أن أخذت إخلاء طرف من ماكدونالدز، لكن هذه المرة أصبحت عندي خبرة جديدة...

- قرَّرت أن "أكبر دماغي" وألا أركّز مع مشاكل العملاء النفسية... ولو عميل طلب مني ألمع له الجزمة مش هقول له لأ... أنا عايز آكل عيش ومش هأفرح أبدًا لو خدت "ختم" إني بتاع مشاكل مع العملاء!

ضياء عبد الغفار

- **القاعدة التاسعة :**

شعار كل مطاعم مصر معروف مسبقًا : "الزبون دايمًا على حق"... وعمرهم ما هيغيروا الشعار ده علشان جمال عيون حضرتك !

عمرك فكرتي ليه مفيش بنات بتشتغل دليفري ؟

المهنة لا تناسب سوى الرجل... تخيلي مثلاً إن بنت بتشتغل دليفري وراحت شقة لمجموعة عُزَّاب... أو لواحد خليجي مثلاً من اللي شعر البنت بيخليهم يتجننوا جنسيًا... خطر طبعًا.

ده غير إن البنت عمرها ما هتعرف تتعامل مع أعطال الفيسبا وتقف في الشارع تغير فردة كاوتش... كل المطاعم في مصر بتشترط إن اللي يقدم في وظيفة الدليفري لازم يكون راجل... "دكر" يعني...

دليفري رفض ذكر اسمه

الدليفري بوي "خبيث"!

في مطعم "تكا" بالمهندسين كان لقائي مع "ضياء عبد الغفار" مدير المطعم، ربما هو في العقد الرابع من عمره، شكله مهندم، يرتدي القميص اللبني الفاتح وربطة عنق بسيطة لّمها لتتناسب مع ملابسه... لوهلة قد تعتقد أنه مدير بنك وليس مدير مطعم.

القلم الذي يخرج من جيب قميصه يشير بدون شك إلى "أنا شخص عملي"، وابتسامته التي تشبه الابتسامة الأمريكية المعلبة والتي لا تعني سوى: "أنا أبتسم لك فقط لأن هذا من مهام عملي وليس لأنك إنسان لطيف"!.

- فتى توصيل الطعام للمنازل هو أصعب عنصر يمكن التعامل معه في مطاعم الطعام السريع، والأسباب كثيرة... فهو بطبعه شخص خبيث يشبه الثعلب... قادم من مناطق شعبية حيث الفهلوة المصرية في أبهى صورها... والنقطة الأصعب هو أنه ليس أمام عيني طول الوقت، فلا أعرف حقًا ما يفعله

من خلف ظهري.

- مصائب الدليفري بوي لا تتوقف أبدًا : تزوير فواتير بنْزين الفيسبا ليحصل على نقود أكثر... تزوير الفواتير التي يأتي لنا بها من ورشة التصليح حين تصاب الفيسبا بعطل ما... رفضه الذهاب إلى عناوين بعينها لأنه يعلم جيدًا أن أصحاب هذا المنْزل لا يدفعون بقشيشًا للعامل... أو لأنه يتعامل بطريقة سخيفة مع بعض العملاء لمجرد أنه لم يحصل منهم على بقشيش.

- لكني أصبحت أعي جيدًا حركاتهم "النُص كُم" وأصبحت قادرًا على مواجهتها والتعامل معها... الشدة مطلوبة طول الوقت مع هذا النوع من البشر... لو شعر في أي لحظة أنني كقيادي سهل معه فقد "يركب ويدلدل رجليه" لذلك كله أتعامل معه بحزم شديد.

- حتى الجديد في هذه المهنة قد يكون في البداية إنسانا مهذبًا ويتقي الله في عمله... لكن معاشرته لباقي فريق الدليفري تجعله يتغير تمامًا بعد أقل من سنة ويصبح مثلهم بالضبط.

- حين تأتيني شكوى من أحد العملاء تتعلق بالدليفري أكون حازمًا جدًا فيها... فالقاعدة في شركتنا أن العميل دائمًا على حق... ولا نقبل أبدًا أن يعامله الدليفري بأي شكل غير لائق حتى لو وصل الأمر إلى "رفد" هذا العامل السيء الذي قد يسيء للمطعم.

- في يوم اتصلت بي في المطعم فتاة وأخبرتني أنها كانت تسير بسيارتها في شارع جامعة الدول العربية وضايقها الدليفري وحاول أن يعاكسها ويدخل معها في سباق... حققت في الموضوع فقال لي الدليفري إنه لم يضايقها وأن كل ما حدث هو أنها كانت ستصدمه بسيارتها فقال لها "اتعلمي السواقة قبل ما تسوقي" فأقسمتْ أن تسبِّب له مشكلة في عمله بسبب ذلك... رغم أنني صدَّقته إلا أنني خصمت نصف شهر من راتبه حتى يصبح عبرة لباقي زملائه... فالعميل دائمًا على حق ولست مستعدًا لأن أتعامل بسهولة مع هذا الموقف فيتكرّر مرة أخرى.

- لكني أبدًا لا أكره الدليفري رغم "خبثه" فهو في النهاية شاب مصري يحلم بتحقيق ذاته... ويكفي الخطر الذي يواجهه دائمًا في الشوارع... لكن بعض الشدة لن تضر أبدًا.

الأسطى نبيل

- **القاعدة العاشرة :**

انطلق !

تقع ورشة الأسطى "نبيل" لتصليح جميع أنواع الفيسبا في "ميت عُقبة" ، سمعته الجيدة وإتقانه لعمله جعل أغلب شباب الهوم دليفري يتعاملون معه.

الأسطى نبيل في الخمسين من عمره، له وجه مصري "من بتوع زمان" حين كانت الابتسامة لا تغيب رغم كل المشاكل، وحين كان الرضا موجودًا وبكثر... يعمل في هذه المهنة منذ زمن طويل، أو كما قال لي "من قبل ما إنتي تتولدي أصلاً !".

يتعامل الأسطى نبيل مع شباب الهوم دليفري بحب لا شك فيه لأن:

- العيال دول غلابة... يبحثون عن رزقهم بعكس غيرهم من مئات الشباب المصري الجالس على المقاهي يشرب شاي وبس... ثم ربنا ما يوريكي صعوبات هذه المهنة : حوادث، مشاكل مع المرور ، تعطل الفيسبا أثناء ذهابه بطلب إلى زبون ، ووقتها قد يترك الفيسبا ويجري على قدميه لتوصيل الطلب... والأهم هو إنه شايل حياته دايمًا على إيديه.

- لا أتردد أبدًا في تعليم الشباب صيانة الفيسبا بأنفسهم إذا كان العطل سهلاً ، لأني أعرف مصيبة أن تتعطل بهم في الطريق... الفيسبا تحتاج لدليفري يحبها ويهتم بها ، ووقتها ستكون جدعة معه ولن تخذله أبدًا حتى في أصعب الطرق.

- تقدري تعتبري الفيسبا رُبع عربية... ماتضحكيش ، فهي فعلاً رُبع عربية "سيارة" فهي "بستم" واحد أى ربع ماتور العربية وفي نفس حجم ربع العربية تقريبًا.

- أنا بأتعامل مع كل أنواع الفيسبا مثل الفيسبا الشبح والبطة والإسبرنت والأسبور، وحتى كمان الأوتوماتيك.

- الدليفري الشاطر يجب أن تحتوي الفيسبا الخاصة به على "شنطة عِدة" بها كل ما قد يحتاجه في أي ظرف صعب مثل المفاتيح والمفكات والبِنس وسلوك للدبرياش احتياطي وسلوك فرامل أيضًا. ويؤمِّن نفسه بالبنْزين... "بنْزين في التانك أحسن من مليون جنيه في البنك"... أساسًا استهلاك الفيسبا للبنْزين ضعيف فهي تستهلك لترًا واحدًا كل ٣٥ كيلو على السريع.

- أكتر عطل بيصيب الفيسبا هو احتياجها للاستحمام كل فترة... إنك تروح فاكك الريدراتير وغاسله بالجاز كويس عشان تنَزِّل منه التراب ، هو مش تراب هو بيبقى طين وبيمنع الهوا من الدخول للماتور مع السرعه العالية ، وده بيخلي الدليفري يحس إن الفيسبا مخنوقة وإن مش دي سرعتها.

- تعاملي مع الدليفرية بجدعنة جعلني صاحب أشهر ورشة يأتي إليها شباب الدليفرية من كل المطاعم في القاهرة... في ناس في مدينة نصر ومصر الجديدة يأتون لتصليح ماكيناتهم عندي رغم بُعد المسافة... آه والله!

- في مرة رفض المطعم أن يعطي للدليفري سلفة قبل زواجه بأسبوع... وعندما عرفت ذلك اتصلت بالدليفري وأعطيته أنا السلفة التي كان يريدها من المطعم وسدَّدها لي على أقساط بعد عودته للعمل... بأعتبرهم جميعًا أولادي وإخواتي الصغار... ولا أتردد أبدًا أن أقف بجانب من يحتاجني حتى لو كان الأمر بعيدًا تمامًا عن العمل.

- أثناء تصليحي لإحدى الماكينات يجلس معي صاحبها ونشرب معًا الشاي ونتحدث في موضوعات كثيرة : حال البلد... المشاكل التي نمر بها... البنات وحكاياتهم... ولا نتوقف أبدًا عن الكلام حتى أنتهي من تصليح الماكنة.

الناس لا تعرف عن الدليفري سوى أنه مندوب توصيل الطعام فقط ، لكن هناك مهام جانبية كثيرة نقوم بها في عملنا ، أهمها توزيع المطبوعات ؛ يقوم المطعم بإعطائنا آلاف المطبوعات الخاصة بالمطعم "فلايرز" ، نقوم بتوزيعها داخل العمارات الخاصة بكل منطقة "زون" خاص بكل مطعم ، هذه المطبوعات ليست سوى إعلانات عن المطعم أو عروض جديدة.

كما نقوم بالاتفاق مع بائعي الجرائد على وضع الإعلانات داخل الجرائد ، مقابل ٥٠ جنيهًا يوميًا لكل بائع جرائد في المنطقة التي يوجد بها المطعم.

ونقف في الشارع لتوزيع الإعلانات على أصحاب السيارات الملاكي في الشوارع ، كلنا نفعل ذلك لأنه جزء من مهام عملنا... أنا عملت في العديد من المطاعم وكلها تطلب مني ذلك

دليفري رفض ذكر اسمه

حملت "مريم" "فلاشة" صغيرة وتوجهت إلى الجامعة الأمريكية... في الممر المؤدي إلى المكتبة قابلت أستاذها فسألها عن مشروع تخرجها...

رفعت يدها اليمنى بالفلاشة قائلة: مشروع تخرجي هنا... فيلم وثائقي عن حياة فئة مهمة جدًا من الشباب المصري ، قمت بتصوير الفيلم في الأيام السابقة ، انتهيت من عمل المونتاج بنفسي... والفيلم جاهز مع شريط ترجمة باللغة الإنجليزية.

نظر لها مدرسها الأمريكي الذي يدرس لها الإعلام الجديد "New Media" وابتسم : (منتظر أن أشاهد الفيلم يا مريم، ولو أعجبني فسأقوم بترشيحك للسفر إلى أمريكا لدراسة "صناعة الفيلم" "Film Making" لتعودي مرة أخرى إلى مصر ولا تتوقفي عن الإبداع)!

ابتسمتْ ثم أكملت سيرها...

وفجأة وجدت داخلها سؤالا إنسانيًا يتردد : "ترى ما هي حكايات وطموحات وأوجاع الشباب العاملين في "البنزنية"؟

هل ستعرف "مريم" أكثر عن مشاعرهم ذات يوم؟!

لكن قاطعها صوت قادم من الراديو لشاعر يلقي قصيدة.

دليفري من فوق عجل
دايرها شرق وغرب
طيار على فيسبا
مش من بتوع الحرب
سألوني عن مهنتي
قولتلهم: هوم "تيلفري"
ضحكوا على لكنتي
وفقر تعليمي
مع إني متعلم
وكل مشكلتي
معرفش أتكلم
وبروحي فاهم قوي
أن التليفري... وِصال
والهوم... يعني وطن
وأنا للوطن وصـــال
ف زحامه كنت البطل

من بوابين وحرس

بجري ودق الجرس

والوش يرسم بسمة

لو مهما جوايا

وكل باب يتفتح

شايل وراه حكاية

وانا حِيلتي إيه يعني

غير بصتي في الأرض

يدوب بوصل طلب

مملكش حتي العرض

وكلمة حاضر سيادتك

تضمنلي مستقبلي

وارضى بجوز جنيهات

وتبقى الحياة فُللي

وآآه

آه يا وطن فيسبا

لغيري ليه عزبة

وليا أنا كذبة

داير بوصلها

صندوقه مليان خير

مدقتهوش عمري

وانا فوق ماتور وجدون

قضيت عليه عمري

ما انا دليفري الوطن

وحافظة شرق وغرب

طيار بتاع فيسبا

مش من بتوع الحرب

❁ ❁ ❁

المؤلف في سطور

- صحفي مصري شاب. درس الصحافة وحصل على دبلوم الدراسات العليا في الإعلام من معهد الدراسات والبحوث العربية ثم ماجستير الإعلام الإلكتروني من كلية الإعلام جامعة القاهرة.
- سافر في منح دراسية إلى كلٍ من أمريكا وهولندا والدنمارك وفرنسا.
- درس إدارة المشاريع الإعلامية في المركز الدولي للصحفيين، واشنطن دي سي، الولايات المتحدة الأمريكية عام ٢٠١٤
- مؤسس مشروع "ميديا لانسر" الذي يهدف لتدريب شباب الصحفيين على استخدام التكنولوجيا في العمل الصحفي.
- حصل على جائزة شبكة الصحفيين الدوليين لأفضل قصة صحفية عام ٢٠١٣م.
- عمل كمدير تحرير لمجلة كلمتنا ثم رئيس تحرير لراديو حريتنا الإلكتروني وحاليًا يعمل مدير لموقع كايرو ٣٦٠ دليل الحياة في العاصمة، كما يراسل موقع رصيف٢٢ اللبناني.
- صدر له عدة كتب منها: ما تيجي ننجح، في بلد الولاد، اكتب.. صور.. أنشر..

- البريد الإلكتروني: mostafathi@yahoo.com

شمس
للنشر والإعلام

Tel :(+2) 01288890065

www.shams-group.net